مجلة البيان – العدد 54 ، صفر 1413هـ / أغسطس 1992م

الافتتاحية

ما يحتاجه العرب

عبد القادر حامد

مَنَّ الله عـلـى الـعـرب بـنـعـم لا تحصى، وتفـضـل عليـهم بما تحسدهم عليه قوى الأرض جميعاً ، وتتزاحم الدول القوية على حيازته والاسـتـئـثار به. ومن ذلك: الموقع الجغرافي، والخيرات الظاهرة والباطنة ، والعنصر البشري النشيط، والتاريخ الـعـريق ، على أن أعظم هذه المنن ، وأثمن هذه النعم ؛ ما أكرمهم بهم بأن جعل بلادهم مهبط ، وجـعـل أجدادهم حملة الرسالة الإسلامية إلى العالم . لا شك أن هذه المنة هي واسطة عقد النعم كلها ، وإذا كانت كذلك ، فإنها تستحق كل جهد للمحافظة عليها ، وإبقائها مشعّة مرفوعة .
والله -عز وجل- يقول في ذلك : ((لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ وإن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)) [آل عمران 164] .
لكن هذه الحقيقة البسيطة غطى عليها ما يحجبها ، فوقع الناس في الفوضى ، وفقدوا الاتجاه الصحيح ، وتركوا للأفكار الوافدة تزيدهم فرقة واضطراباً ، وتعيق حركتهم ، وتشغلهم عما هو مهم من إعادة بناء أمتهم ، والتحرر مما كبلها ، وقيد خطاها عن العيش بين الأمم كما يليق بها .
لقد استوردنا مفاهيم غريبة ، وأردنا تطبيقها في تربتنا ، فلم نجن من ورائها شيئاً نافعاً ، بل تركت فينا آثاراً سيئة وزادتنا ضعفاً . ومن ذلك :
العصبية القومية، التي لم تكن مألوفة لنا بالصورة التي جاءتنا من أوربا ، فقد كانت بلادنا مجالاً يختلط فيه الناس على كافة أعراقهم وأجناسهم دون حساسية ، ولا موانع ، تظلهم العقيدة الإسلامية واللغة العربية ، لغة العلم والثقافة ، فتجد العلماء النوابغ الذين لم يبالوا - حيث ارتضوا الإسلام ديناً ولغة الإسلام رباطاً ثقافياً - بأصولهم مهما كانت : فارسية ، أو كردية ، أو رومية ، أو غير ذلك . ولكننا قابلنا حماقة العنصريين من الترك فرددنا عليهم بحماقة توازن فعلهم ، وعدو الطرفين - أوربا - يراقب وينظر ، يفرك يديه فرحاً ، ويصفق للحماقات المتبادلة .
ولئن كان من دعاة القومية فريق مخلص عنده غيرة إسلامية ، وتصدى لدعاة الطورانية وفَرْضِ التتريك على الشعوب غير التركية ؛ وتوخى في ذلك المحافظة على ما يحاول هؤلاء العنصريون اغتصابه من حق العرب ، ويقف عند حد إصلاح الخلل الذي أحدثه هؤلاء ؛ فلم يكن في نية هؤلاء أن ننتقل من تحكم الترك إلى تحكم الأوربيين ، وربما لم يكونوا يدركون أن نية زملائهم ممن يخالفونهم في الدين هي القضاء على آخر ما يربط المسلم بأخيه

المسلم وهو "رابطة الدين" ، ولم تتكشف هذه النيات إلا بعد خراب كل شيء ، وبعد أن وضعت أسس وهمية للترابط والتناصر لم يستفد منها إلا الذين يحسنون العمل في الظلام ، ويجيدون أساليب الالتواء والتآمر : أعني تلاميذ المنصرين ، خريجي المدارس التبشيرية ، ومن يرتبطون بالاستعمار وبأسباب كثيرة .
كان من آثار العصبية القومية أن انكفأ العرب على أنفسهم ، وقطعوا الأواصر التي كانت تربطهم بالمسلمين في العالم ، واكتفوا بذلك السراب الذي سموه الرابطة القومية التي لم تثمر في تاريخهم الحديث إلا الهزائم ، ذلك لأن هذه الرابطة أراد مروجوها أن تقوم على أطلال رابطة أكثر أصالة وعمقاً في نفوسهم ، وكيف تكون رابطة وهمية بديلاً عن رابطة أصيلة وعميقة ، رابطة ربطها رب العالمين ، وحث عليها خاتم المرسلين ؟! وانكمش الإسلام إلى أن يصبح شأناً شخصياً لا علاقة له أبداً بالواقع تقويماً وتصحيحاً ، بل حتى أن يكون شأناً شخصياً أصبحت مسألة فيها نظر ، فلا يترك المسلم وشأنه ، فلا يستطيع مثلاً أن يلبس ما يملي عليه دينه ، أو ما يجده متلائماً مع ما اعتاده في بيئته ، ولا يستطيع أن يمارس شعائر عبادته دون أن يؤدي ذلك إلى التفرقة ضده واتخاذ المواقف في وجه ترقيته إن كان موظفاً ، ووضع العقبات في طريقه إذا كان عاملاً حراً... ، وإذا عرفنا أن الإسلام هو دين الصراحة والوضوح والبعد عن الدهاليز السرية في كل شيء : في شعائره وشرائعه وآدابه ومظاهره كلها ، وأن غيره من العقائد على العكس ؛ أدركنا من الخاسر ومن الرابح في الدعوة إلى أن يكون الدين أمراً شخصياً فقط .
وهكذا تحول المسلم إلى شخص غريب في بلده ، يُشَكُّ بولائه إذا عرف أنه يقوم ببعض الشعائر الإسلامية ، وتوزن أعماله وتصرفاته على هذا الأساس ؛ لأي جماعة ينتمي ، وبأي شخص يرتبط ، ومن أين جاءه التأثير حتى فعل هذا وامتنع عن ذاك ؟! وتطرح هذه الشكوك والظنون على الصحافة فلا تكتف هذه الأداة الخطيرة بتجريمه وتأثيمه ؛ بل يلحق التجريم والتأثيم كل من يذكر في سياق البحث عن المؤثرات والبواعث وتصبح مهمة إعادة الثقة إلى هذه الأسماء والهيئات عملية مستحيلة ، لأنها ضد الزمن وضد التاريخ وضد سير الأحداث ، وهكذا يحيا المسلم حياة انفصام وتمزق يعدو أثره في التشنجات والاحتقانات التي تطفو على سطح الحياة الاجتماعية ، ففريق يلوذ بتحدي المجتمع بكل سبيل ، ويتمسك بدينه على الرغم من كل شيء ، وقد تصدر منه خلال ذلك أعمال غير مقبولة تزيد الحرب ضده وتحرض عليه المجتمع فيزداد هو شعوراً بالنبذ ، ويزداد المجتمع ظلماً له ، وفريق آخر يتطرف في خروجه على كل شيء له ارتباط بالدين ، ويتمرد على كل الأعراف حتى ينجو من شعور "المنبوذ" الذي يعيشه الفريق الأول ، فترى هذا الفريق يرتكب كل

موبقة للوصول إلى ما يريد ، وللحصول على براءة الانتماء بقليل أو كثير إلى الفريق الأول ، لأنه يدرك ثقل تكاليف هذا الانتماء .
ومن الشعارات المدمرة التي استوردناها ، الاشتراكية ، وفضلاً عن أن هذه الاشتراكية أثبتت فشلها حتى في بلادها ؛ فإن ما يضاف إلى أسباب فشلها الكامنة في أصلها وأساسها عندنا أنها ظلت شعاراً خاوياً لا يؤمن به أحد حتى الذين استوردوه ، وبقيت شيئاً غريباً عن المجتمع وطاقاته ، على الرغم من الدراسات الكثيرة والطبل والزمر الذي أحاط بترويجها . نعم كان في مجتمعاتنا ظلم ، وفيها فقر ، وفيها تسلط ، وفيها عدم تكافؤ فرص ، وفيها أمراض اجتماعية يصعب علاجها - كأي مجتمع - ولكن لم يكن فيها صراع طبقات كالذي جاءت الشيوعية تدعي معالجته.. كانت هذه الاشتراكية المستوردة وبالاً على المجتمع . نعم هناك فئة أثرت بسبب هذه الاشتراكية وانتقلت من الفقر إلى الغنى ولكن هذه الفئة قليلة بالنسبة لمجموع الشعب ، وغناها لم يحل المشكلة الاساسية بل ولم يلغ الظلم الاجتماعي ، وإنما استبدلنا وجوهاً بوجوه ، وأسماءً بأسماء ، وزاد الظلم حبتين أو ثلاث ، فأصبحنا ممنوعين من أمور كثيرة لم نكن نمنع منها حتى في أقسى عهود الاستعمار .
ذكرنا القومية والاشتراكية ونسختها السيئة كمثال ، ولا نريد - هنا - محاكمة ولا إدانة ، وإنما نريد أن نشخص الأزمة التي يمر بها المجتمع العربي ، ونريد من الذين ساقونا إلى هذا الواقع الأليم أن يعترفوا بخطئهم ويتواضعوا . ومن اعترافهم بالخطأ وتواضعهم أن يقروا بوجود أفكار أخرى وناس آخرين يعيشون معهم في مجتمع واحد ، تصيبهم النكسات مثلهم ، ويتألمون كآلامهم ، وعندهم من الغيرة والتحرق على واقع بلادهم ما عند هؤلاء .
إن ما تحتاجه الشعوب العربية أن تعيش في سلام لا مع العدو ، بل مع أنفسها ، وأن تعطى فرصة تستقيل فيها من سفك الدماء ومصادرة الحريات ، وتسكن فيها الثارات والملاحقات ، وأن يتنفس الناس شيئاً من هواء الحرية ، ويخرجوا قليلاً من الأجواء الملوثة ، أجواء الكبت وعدِّ الأنفاس وتغذية الأحقاد ، وحين يتحقق ذلك لا بد من الاعتراف بأن الإسلام بين العرب ليس شيئاً شخصياً لا ينبغي أن يطلع عليه أحد ، وممارسة ذاتية وجدانية لا علاقة لها بواقع الحياة ، لا ، الإسلام عند العربي ، أكثر من المسيحية عند المسيحي ، وأكثر من اليهودية عند اليهودي ، وأكثر من البرهمية والهندوسية والبوذية عند أتباعها ، إنه أكثر بكثير من ذلك ، ولا تأتي أهميته من إدراك معتنقيه فحسب ، بل منه هو ذاته كدين ، هكذا أراده الله للعرب الذين تشرفوا به ، وأصبح لهم دور بعد أن حملوه للعالمين . وحين يضعونه وراءهم ، فيهملون عقيدته ولوازمها ، ويعطلون أحكامه ، ويلاحقون أتباعه ملاحقة المجرمين وقطاع الطرق - بل والله إن المجرمين وقطاع الطرق في مكانة من التكريم والمعاملة يحسدون عليها مقارنة بمعاملة المتمسك بدينه هذه الأيام - نقول : حين يكون هذا شأن

العرب - رسمياً - مع الإسلام لا يضرون إلا أنفسهم ولا يضيفون إلى ما هم فيه من ضعف إلا ضعفاً ، وإلى أزماتهم التي هم فيها إلا أزمات جديدة .
إن ما يسمى بجهود التنمية ومشاريع التطوير لن تجدي شيئاً إذا كان المجتمع لا يعيش في سلام مع نفسه ، ولا يدرك ذاته ، ولا يعرف عدوه من صديقه ، ولا يتعامل مع المشاكل والأزمات بعقل وحكمة ، ومن الغريب أن في بلادنا كثيراً من دعاة "العقلانية" وهؤلاء هم الذين يقودوننا حقيقة ، وهم النخب المهيمنة - ولكن تصرفات هؤلاء ، وتقويمهم لأنفسهم وغيرهم لا يدركها عقل ، ولا تتسق مع حكمة .
إننا نقول بكل الود والهدوء والثقة :
إن تكثير السجون والمعتقلات ، وفتح المعسكرات في الصحاري اللاهبة للدعاة إلى الله ، وسومهم العذاب بالمئات والآلاف في أكثر من قطر عربي عار وشنار لمن يقوم به ، وتعطيل لطاقات المجتمع وإهدار لثرواته في سبيل إرضاء نزوات نفوس مريضة ترى أنها محور الكون ، وتخريب للحمة التي لا تبني المجتمعات والدول والحضارات إلا بها ، ولو وفرنا الأموال الطائلة التي تنفق على هذه المعتقلات وما يتبعها من رواتب موظفين ومخبرين وحراساً ومستشاري تعذيب ؛ لوفرنا مصدراً من مصادر الثروة بلادنا في أشد الحاجة إليه ، على أن الخسارة المادية ليست شيئاً أمام الخسارة المعنوية التي تصيب مجتمعاتنا فتشلها عن الحركة ، وتضربها بالشك والتوجس ، فتموت المثل العليا ، وتحيا الفردية والأثرة والأنانية ، كما هو حاصل الآن .
إن المجتمعات لا تبنيها الحراسة ، ولكن تبنيها الثقة ، ولا تقوم على الملاحقة ، وإنما تقوم على العدل .

آية من كتاب الله:
((وقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَتِي هِيَ أَحْسَنُ))

تساهم الكلمة إلى حد بعيد في إحياء الأمة الإسلامية ، وبخاصة إذا ما تسربت إلى القلوب فاستقرت فيها.. فالكلمة الصادقة الصادرة من القلب تثير عواطف النفوس ، وتحيي موات القلوب، وتدفع إلى التغيير بإذن الله. ومن هنا كان افتقاد فقه الكلمة وأدب الحوار من الأمور التي تُفقد الدعوات روحها وتأثيرها ، وتؤدي بالمجتمعات إلى التفكك والانهيار . وفي هذا المقال نحاول الوقوف على بعض من هذا الفقه.. فقه الكلمة..

القرآن ومسؤولية الكلمة :

يقول الله تعالى: ((وقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَتِي هِيَ أَحْسَنُ إنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ..)) ، يقولوا التي هي أحسن "على وجه الإطلاق وفي كل مجال فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه، بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة ،

فالشيطان ينزغ بين الإخــوة بالكلمة الخشنة تفلت وبالرد السيء يتلوها، فالشـيـطـان يتلمـس مــن الإنسان سقطات فمه وعثرات لسانه، فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه ، والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات ، وتقطع عليه الطريق، وتحفظ حرم الإخوة آمناً من نزغاته ونفثاته"(1)، وهذا من أدب وفقه الكلمة بين المرء وأخيه .
هذا فيما بين المؤمنين ، والأمر يتسع ليشمل ما بين المسلمين والمشركين ، فالمؤمنون مأمورون بقول : "الكلمة التي هي أحسن وألا يخاشنوا المشركين ذلك "أن الشيطان ينزغ بينهم" : يهيج بينهم المراء والشر ، فلعل المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد فيأمر الله تعالى عباده أن يقولوا الكلمة الطيبة وألا يصرحوا لهم بأنهم من أهل النار ، فإنه يهيجهم على الشر ، بل يداروهم ويحتملوا منهم . وروى أن المشركين أفرطوا في إيذاء المسلمين فشكوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنزلت الآية . وقيل شتم عمر - رضي الله عنه - رجل منهم فهم به فأمره الله بالعفو"(2) ، "وهو أن يقول للكافر إذا تشطط : هداك الله ، يرحمك الله . وهذا قبل أن يؤمروا بالجهاد"(3) ، وهذا أيضاً من أدب وفقه الكلمة .
وربما اتسع الأمر ليشمل المشركين أنفسهم وكأن المعنى : "قل لعبادي الذين اعترفوا بأني خالقهم وهم يعبدون الأصنام يقولوا التي هي أحسن من كلمة التوحيد والإقرار بالنبوة"(4) ، وهكذا يؤكد الله -عز وجل- على أهمية ومسؤولية الكلمة لما لها من عظيم الأثر في حياة البشرية .
يقول سبحانه : ((وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا)) [الأنعام 152] ، "فيأمر الله تعالى بالعدل في الفعال والمقال على القريب أو البعيد"(5) ، "ومن عهد الله قولة الحق والعدل ولو كان ذا قربى"(6) .

الرسول القدوة.. والكلمة :

والمتتبع لسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - يجد الأحاديث تتوالى وتترى في الحض على مكارم الأخلاق وبلوغ التي هي أحسن ، ففيها "الكلمة الطيبة صدقة"(7) ، وفيها الربط بين الإيمان والخير من القول فهو القائل - صلى الله عليه وسلم - : "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"(8) ، وفي سيرته الكريمة - صلى الله عليه وسلم - التنفير من إساءة استخدام الكلمة فيقول - صلى الله عليه وسلم - : إن أبغضكم إلي أبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون"(9) ، والقيامة هي التي يعمل مخافة السوء فيها العاملون ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الحبيب الذي يبغى القرب منه المحبون فكيف لا يحسنون استخدام الكلمة وهي أمامهم وسيلة القرب والنجاة حتى يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن النجاة : "أمسك عليك لسانك"(10) ، ويقول : من يتكفل لي ما بين لحييه ورجليه ، أتكفل له بالجنة"(11) ، ويقول -عليه الصلاة والسلام- : "أنا زعيم

ببيت من رَبَضِ الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"(12) .
هكذا يرفع الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قيمة الكلمة ويثقل ميزانها.. ويبلغ الأمر منتهاه في تحديد مسؤولية الكلمة في قوله : "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها - أي يتفكر أنها خير أم لا - يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب"(13) ، وهكذا كانت سيرته - صلى الله عليه وسلم - إذا تكلم أحسن ، وإذا صمت أبلغ ، حتى كان هذا الخلق هو ما عايشه أصحابه منه فيقول أنس - رضي الله عنه -: "خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين فما قال لي أفٍ قط ، ولا قال لشيء فعلته : لِمَ فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلته ؟ وكان - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس خلقاً.."(14) .
وهكذا ربى أصحابه الكرام فعرفوا للكلمة حقها ، وحفظوا لها قدرها ، فكان لسانهم منهم دائماً على بال حتى : "يضع أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - الحصاة في فيه ويمنع نفسه عن الكلام ، وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد.. ، وحتى يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.. ، ويقول الحسن : ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه(15) ، ويقول ابن عمر - رضي الله عنه -: إن أحق ما طهر الرجل لسانه ، وحتى يقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "من مزح استُخِفّ به" . هكذا كانوا ، وبهذا حفظ لهم التاريخ تلك العلامات المضيئة على صفحته . وهكذا يجب أن يكون كل من يريد أن يحمل تبعة التمكين لدين الله في الأرض .

الدعاة والموعظة الحسنة

إن الله سبحانه يدفع عباده دائماً - والدعاة إليه منهم خاصة - ليقولوا التي هي أحسن ، وأن يتخلقوا بالقول اللين ، فنجده سبحانه يأمر موسى وهارون - عليهما السلام- وهما مرسلان إلى أعتى الطواغيت ، أن يتخلقا به فيقول : ((فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)) [طه 244] ، "فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة ، ومن شأنه إنه يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان"(16) ، وهكذا فمن أدب وفقه الكلمة أن تعرف وتحسن كيف تدعو .
ثم الله سبحانه تعالى يوجه رسوله - صلى الله عليه وسلم - ذلك التوجيه الكريم ، ولمن كان يرجو الله واليوم الآخر في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة . فيقول سبحانه : ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [النحل 125] ، فاللسان هو وسيلة البيان ، ووسيلة البلاغ ، ولكن لا بد لهذا البيان وذلك البلاغ من أدب

وفقه ، "والله تعالى يرسي هنا القواعد والمبادئ ويعين الوسائل والطرائق ، ويرسم المنهج لمن كان في موضع البلاغ.. فمن الحكمة النظر في أحوال الخاطبين وظروفهم والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة ، والطريقة التي يخاطبهم بها ، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها.. والموعظة الحسنة تدخل إلى القلوب برفق ، وتتعمق المشاعر بلطف ، ذلك والجدل بالتي هي أحسن ، بلا تحامل على المخالف ، ولا إزراء به ولا تقبيح يجعله يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل ، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق"(17) .
"وهكذا فالناس دائماً في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم ، وضعفهم ، ونقصهم.. في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية ، والعطف والسماحة والود والرضاء.. وهكذا كان قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو القدوة ، وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ((ولَوْ كُنتَ فَظاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمْ)) [آل عمران 159]"(18) ، أي "فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله تعالى"(19) .
فما أحوج الدعاة إلى الله إلى أن يعوا مسؤوليتهم ويحملوا تبعتهم وأن يضيئوا طريقهم بهديه - صلى الله عليه وسلم - .

كلمة أخيرة

إن الكلمة وسيلة البلاغ ، وإن للكلمة لفقهاً.. فعلى من يقف في موقف البلاغ أن يعي "أن المبلغ عن الله (بين الله وعباده) يجب أن يكون أداة صالحة .
ولذلك يقول ابن القيم في قول الله : ((واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)) [طه 41] بمعنى الاصطفاء لموسى ، قال ابن عباس : اصطفيتك لوحي ورسالتي .
وكون المبلغ عن الله أداة صالحة فإنها لا يجب أن تتجاوز حدود الأداة والسبب ، فسببية الدعاة إلى الله تحمي الدعاة من ثلاثة أخطار :
أولاً : خطر الغرور ، إذا تحققت الاستجابة . والاعتقاد أن الداعية مجرد سبب في الهداية يحميه من هذا الشعور .
ثانياً : خطر اليأس ، إذا كان الإعراض . ذلك أن الداعية يشعر أنه أدى ما عليه وأن الأمر بيد الله .
والأمر الثالث: هو خطر الخروج بالدعوة عن موضعها بملاحقة من لا يستحقون الدعوة، وإهمال دعوة من يستحقون الدعوة .
ويجب على الداعية المبلغ عن الله أن يجمع كل سنن التأثير في النفس البشرية.. سنة العمل : فلا يخالف قوله عمله ، وسنة القدوة : فيكون هو النموذج العملي للمنهج ، وسنة المنفعة : وهو تأليف القلوب وإقامة الحجة

مثلما جاء من قصة أصحاب الأخدود ، التواضع فـ "أكثر الجهالة إنما رسخت في قلوب العوام بتعجب جماعة من جهال أهل الحق أظهروا الحق في معرض التحدي والإدلال ونظروا إلى الضعفاء والخصوم بمعنى التحقير والازدراء ، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها"(20) ، وسنة القوة : إذ أن التخلف والضعف يصدان عن اتباع الحق"(21) .
ويجب على الداعية "أن يتلطف في إبلاغ الحق وأن يمهد له ، وإن كان ثمة شيء فيه شديد الغرابة على واقع الناس ومفهومهم فلا يفجأهم به" ، "فتأمل ذكره سبحانه قصة زكريا وإخراج الولد منه بعد انصرام عصر السبيبة وبلوغه السن الذي لا يولد فيه لمثله من العادة ، فذكر قصته مقدمة بين يدي قصة المسيح وولادته من غير أب ، فإن النفوس لما أنست بولد من بين شيخين كبيرين لا يولد لهما عادة سهل عليها التصديق بولادة ولد من غير أب"(22) .
كذلك على الداعية أن يتسلل في إبلاغ الحق تسللاً منطقياً فلا يتقدم بأحكام ثم يأتي لها بحيثيات ولكن يقدم المقدمات فتأتي بعدها نتائجها في غاية اليسر بلا اعتساف ولا عنت ، ثم عليه أن يراعي التدرج في إبلاغ الحق فالتدرج سمة الجماعة المسلمة في نموها وتأمل قوله تعالى : ((كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ)) [الفتح 29]"(23) ، كذلك على الداعية ألا يكتم شيئاً من العلم ، وأن يختار لدعوته ما يناسبها ويحقق أهدافها عن طريق البيان الذي لا يدع الحق ملتبساً على الناس ، وإذا أحس من نفسه عدم القدرة على ذلك أحال من يحدثهم إلى ما يستبينون به الحق من كتب ، أو رسائل ، أو عالم يقدر على البيان والبلاغ المبين ، هذا كله من أدب وفقه الكلمة ومسؤوليتها..
أخي الداعية.. قد يكون الحسن أن تدعو إلى الله وإلى دين الله ولكن الأحسن أن تدعو إليه على بصيرة فتراعي الكيف والحال والمكان والزمان..
ما أحوجنا اليوم لذلك الفقه النادر "فقه الكلمة" حتى يكون لدعوتنا الأثر الطيب.. وحتى تؤدي كلماتنا وظيفتها الاجتماعية.. ولنكون قبل ذلك وبعده متخلقين بخلق القرآن الكريم الذي يأمرنا: ((..وقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَتِي هِيَ أَحْسَنُ..)) .

الهوامش :

1- الظلال في تفسير الآية - بتصرف -
2- البيضاوي في تفسير الآية - بتصرف -
3- القرطبي في تفسير الآية - رواية عن الحسن -
4- القرطبي في تفسير الآية
5- ابن كثير في تفسير الآية
6- الظلال في تفسير الآية
7- صحيح البخاري باب الجهاد

8- متفق عليه وفي رواية للبخاري ومسلم : ".. أو ليسكت"
9- رواه الترمذي وقال حديث حسن
10- صحيح البخاري ومسلم
11- صحيح البخاري
12- صحيح رواه أبو داود
13- متفق عليه
14- الصحيحين
15- موعظة المؤمنين
16- الظلال في تفسير الآية - بتصرف -
17- الظلال في تفسير قوله تعالى ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ..))" - بتصرف -
18- الظلال في تفسير قوله تعالى ((ولَوْ كُنتَ فَظاً..)) - بتصرف -
19- البيضاوي في تفسير قوله تعالى ((ولَوْ كُنتَ فَظاً..)) - بتصرف -
20- الشاطبي في الموافقات والاعتصام نقلاً عن الإمام الغزالي
21- قدر الدعوة - رفاعي سرور - بتصرف
22- أعلام الموقعين 4/163 - ابن قيم الجوزية
23- كتاب - حد الاسلام ص 7-8 - للشيخ عبد المجيد الشاذلي

تدوين العقيدة الإسلامية
في القرن الثالث الهجري

عثمان جمعة ضميرية

كانـت بداية التدوين في علم العقيدة في القرن الثاني الهجري تحت عنوان "الفقه الأكبر"، وتلا ذلك فـي القــرن الثالث الهجـري مصطلح جديد هو "الإيمان" - كما لاحظنا في العدد السابق - وفي هذا القرن أيضاً شاع مصطلح جديد، أصبح عنواناً لكثير من الكتب في العقيدة الإسلامية ، وهو "السنة". وهذا ما سنلمح إليه في هذا المقال .

3- السُّنَّة :

قال ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة" (3/60-61) :

"سن - السين والنون أصل واحد مطَّرد ، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة . والأصل قولهم : سننت الماء على وجهي أسنُّه سَنَّاً ، إذا أرسلته إرسالاً..ومما اشتق منه : السنَّة ، وهي السيرة . وسنةُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : سيرتُه . قال الهُذَليُّ :

فلا تَجْزَعَنْ من سِيرَة أنتَ سِرْتَـهَـا فـأولُ راضٍ سـنـةً مــن يَسِـيـرُهَا

فالسنة في اللغة: هي الطريقة المسلوكة، محمودةً كانت أو مذمومة، ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم -:"من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده .."(1) .
والسنة أيضاً : هي العادة ، قال تعالى : ((سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ)) ، أي هكذا عاداتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم = يأتيهم العذاب(2) .
وفي الشرع تطلق على معانٍ ، منها الشريعة ، وبهذا المعنى جاء قولهم : الأولى بالإمامة الأعلم بالسنة : أي بأحكام الشرع .
ومنها الطريقة المسلوكة في الدين ، فتنتظم المستحب والمباح ، كما تنتظم أيضاً الواجب والفرض .
وتطلق في عرف الفقهاء واصطلاحهم على الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب .
والمراد بالطريقة المسلوكة في الدين : ما سلكها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وغيره ممن هم علم في الدين ، كالصحابة - رضي الله عنهم - لقوله عليه الصلاة والسلام : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ.."(3) .
وتطلق عند علماء أصول الفقه على ما صدر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير . فهي هنا مصدر من مصادر التشريع ، كالقرآن الكريم .
وعلماء الحديث يريدون بالسنة : ما نقل عن النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقِية أو خُلُقية أو سيرة ، مطلقاً - أي قبل النبوة أو بعدها - وهي بهذا مرادفة لمعنى الحديث .
كما تطلق السنة أيضاً : على ما يقابل البدعة ، كقولهم : طلاق السنة كذا ، وطلاق البدعة كذا ، وفلان على سنة وفلان على بدعة . وهاتان الكلمتان "السنة والبدعة" تستعملان دائماً كلمتين متضادتين - كما رأيت - لأن السنة هي الطريق الذي كان عليه الرسول وأصحابه ، والبدعة هي ترك ذلك الطريق والانحراف عنه وسلوك طريق آخر مخترع ، فلهذا كانت الأولى هدايةً والثانيةُ ضلالة(4) .
ومما تجدر الإشارة إليه هنا : أن السنة تقتضي المواظبة والاستمرار ، وهي أعم من الحديث ، لأنها تتناول الفعل والقول والتقرير ، والحديث لا يتناول إلا القول ، وهذا فارق ما بينهما .
ومن هذه الإطلاقات لمعاني كلمة السنة ، يظهر أنها تطلق بمعنى شرعي عام يشمل ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفاؤه الراشدون ، من الاعتقادات والأعمال والأقوال . وهذه هي السنة الكاملة . ولهذا كان

السلف قديماً لا يطلقون السنة إلا على ما يشمل ذلك كله. وروي معنى ذلك عن الحسن البصري والأوزاعي والفضيل بن عياض(5).
ثم إن كثيراً من العلماء المتأخرين يخصُ اسم السنة بما يتعلق بالاعتقاد فحسب ، لأنها أصل الدين ، والمخالف فيها على خطر عظيم(6) .
وعلى هذا المعنى الخاص جاء استعمال علماء السلف لكلمة "السنة" عنواناً على جانب العقيدة وأصول الدين فيما كتبوه بياناً للعقيدة ابتداءً ، أو رداً على الفرق المخالفة ، ليميزوا بين عقيدة أهل السنة وعقيدة أهل البدعة.
وقد شرح ابن أبي عاصم هذا المعنى للسنة ، وذكر أهم مباحثها ، فقال في "كتاب السنة" (2/445-447):
"السنة اسم جامع لمعان كثيرة في الأحكام وغير ذلك . ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السنة : القول بإثبات القدر ، وأن الاستطاعة مع الفعل للفعل.. والقرآن. كلام الله تبارك وتعالى.. والإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، وإثبات رؤية الله عز وجل.. وأبو بكر الصديق أفضل أصحاب رسول الله بعده وهو الخليفة خلافة النبوة ، ثم عمر بن الخطاب.. ثم عثمان ابن عفان بعده ثم علي بعدهم على مثل ذلك -رحمهم الله جميعاً- .
ومما قد ينسب إلى السنة -وذلك عندي إيمان- نحو عذاب القبر، ومنكر ونكير، والشفاعة والحوض ، وحب أصحاب رسول الله.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون" .
وقد ساد اصطلاح السنة في القرن الثالث الهجــري فـي عصر الإمام أحمد بن حنبل حين ظهرت الفرق وراجت عقائد المعتزلة والرافضة والصوفية وأهل الكلام . فأخذ أئمة الإسلام - حينذاك - يطلقون على أصول الدين ومسائل العقيدة : "السنة" تمييزاً لها عن مقولات الفرق..
وهذا - أي وصف العقيدة وأصول الدين بـ "السنة" - وإن كان معروفاً في عصر الصحابة، إلا أنه لم يكن مشهوراً ، إنما يدل عليه مثل قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه : "من ترك السنة كفر" فإن التكفير من الصحابة لا يكون إلا في أمر عظيم كأصول الدين وأمور الاعتقاد ، كما يدل عليه قول عليّ - رضي الله عنه -: "الهوى عند من خالف السنة حق وإن ضربت فيه عنقه" ، فإن مثل هذا الحكم إنما يتأتى في أصحاب العقائد والأهواء والفرق الضالة"(7) .
وقد جمع طوائف من العلماء الأحاديث والآثار المروية في أبواب عقائد أهل السنة ، مثل حمّاد بن سلمة ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، وعثمان بن سعيد الدارمي ، وغيرهم في طبقتهم . ومثلها ما بوَّب عليه البخاري ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وغيرهم في كتبهم . ومثل مصنفات أبي بكر الأثرم ، وعبد الله بن أحمد ، وأبي بكر الخلاَّل

، وأبي القاسم الطبراني ، وأبي الشيخ الأصفهاني.. وسائر أهل العلم ممن صنَّفوا في السنة(8) .
ونجتزئ هنا ببعض المصنفات مرتبة حسب وفيات مؤلفيها ، وكلها تحت اسم "السنة" :
"كتاب السنة" لابن أبي شيبة (235 هـ) ، كتاب السنة للإمام أحمد (241 هـ) ، وللإمام ابن هانئ تلميذ الإمام أحمد (273 هـ) ، ولأبي علي حنبل بن إسحاق (273 هـ) ولأبي داود السجستاني صاحب السنن (275 هـ) ، ولابن أبي عاصم (287 هـ) ، وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل (290 هـ) ، و للمرزوي (292 هـ) .
وممن كتب في العقيدة تحت عنوان "السنة" في القرن الرابع الهجري : أبو بكر الخلاّل (311 هـ) ، والطحاوي (321 هـ) ، والعسَّال الأصفهاني (349 هـ) ، والطبراني (360 هـ) ، وأبو الشيخ الأصبهاني (396 هـ) ، وابن شاهين (385 هـ) ، ومحمد بن نصر المروزي (394 هـ) ، ومحمد ابن إسحاق بن منده (396 هـ) واللالكائي (418 هـ) .
وهذه المصنفات أُلِّفت للحض على اتباع السنة والعمل بها ، وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والضلالة والأهواء(9) مع بيان أصول العقيدة الإسلامية أو جوانب منها .
ولو أخذنا بعض ما وصلنا من هذه المؤلفات في "السنة" لوجدنا قاسماً مشتركاً في المسائل والأبحاث التي تشكل الركيزة الأساسية فيها ، وقد ينفرد كتاب منها في بعض المسائل دون سائر الكتب ، وقد يتوسع بعضها ببسط الأدلة بينما يختصرها كتاب آخر . وقد تذكر بعض هذه الكتب المسائل مجردة عن الأدلة ، وقد نجد في بعضها جملة من المسائل والقضايا التي تخرج عن موضوع البحث في العقيدة ، أو لا ترقى إلى أن تكون من مسائل الاعتقاد .
والمنهج الذي سلكه المصنفون في "السنة" يكاد يكون منهجاً واحداً ، يتلخص في أنه يترجم للباب ترجمة موجزة ، وقد تطول في بعض الكتب، ثم يسوق جملة من الآيات والأحاديث والآثار التي تتناسب مع العنوان ، وقد يروي الأحاديث من طرق متعددة ، بإسناده ، أو مجردة من الإسناد، كما أن بعضهم قد يتكلم في الرواية وينقدها، وغالباً ما نجد في عناوين الأبواب إشارة إلى الرد على الفرق المخالفة ، بل نجد ذلك صراحة أيضاً . ومن خلال الردِّ والمناقشة تتضح الفكرة التي عقد المصنف الباب من أجلها .
ولم يكن - فيما يبدو - من مـنـهـج هؤلاء الأئمة المصنفين في السنة أن يتحروا الأحاديث الصحيحة في الباب، وإنـمـا يجمعون الروايات التي وصلت إليهم في المسألة ، ولهذا أوقع في بعضها أو في كثير منها بعض الأحاديث الضعيفة .
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

"وقد يروي كثير من الناس في الصفات ، وفي سائر أبواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين ؛ أحاديث كثيرة تكون مكذوبة موضوعة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهي قسمان : منها ما يكون كلاماً باطلاً ، لا يجوز أن يقال ، فضلاً عن أن يضاف إلى النبي .
والقسم الثاني من الكلام : ما يكون قد قاله بعض السلف أو بعض الناس ، ويكون حقاً ، أو مما يسوغ فيه الاجتهاد، أو مذهباً لقائله ، فيعزى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهذا كثير عند من لا يعرف الحديث ، مثل المسائل التي وضعها أبو الفرج الأنصاري ، وجعلها محنة يفرِّق فيها بين السني والبدعي ! وهي مسائل معروفة عملها بعض الكذابين وجعل لها إسناداً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - .
وهذه المسائل - وإن كان غالبها موافقاً لأصول السنة - ففيها ما إذا خالفه الإنسان لا يكون مبتدعاً ، مثل : أول نعمة أنعمها الله على عبده..
فالواجب أن يفرّق بين الحديث الصحيح والمكذوب، فـإن الـسـنة هي الحق دون الباطل، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة . فهذا أصل عظيم لأهــل الإســلام ولمن يدَّعي السنة خصوصاً" .
وبهذه الكلمات النيرة نقفل الكلام عن العقيدة في القرن الثالث الهجري ، كيما نرصد تطور الكتابة في القرن الرابع تحت عنواني "التوحيد" و "الشريعة" . ونسأل الله العون والتوفيق .

الهوامش :

1- قطعة من حديث اخرجه مسلم : 2/705 .
2- انظر تعريفات الجرجاني ص 161 ، تفسير ابن كثر : 3/54 .
3- أخرجه ابو داود 7/ 1 ، والترمذي 1/438 ، وابن ماجه 1/16 ، والدارمي 1/44 ، وصححه الحاكم 1/95 وابن حبان ص 56 من موارد الظمآن ، وابن أى عاصم 1/17 ، واللالكائي 1/85 ، والبغوي في شرح السنة 1/205 ، وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص 243 .
4- انظر : الكليات للكفوي : 3/9-12 ، كشاف اصطلاحات الفنون :4/53-57 ، السنة ومكانتها في التشريع للسباعي ص 47-49 ، حجية السنة لأستاذنا الشيخ عبد الغني عبد الخالق -رحمه الله- ص 20-22 .
5- ومما ينبغي التنبيه إليه هنا أمران اثنان :
أولهما : أن بعض الناس يقصرون التأسي على جانب واحد من السنة ، وهو الجانب المظهري للمسلم ، ويغفلون سائر الجوانب الأخرى ، فيقولون "فلان سنيّ" لأنه أطلق لحيته مثلاً .. مع أننا لا نقلل من أهمية هذا الجانب ، فإن هناك ارتباطاً وعلاقة بين المظهر أو الشكل والمضمون - وينسون الجوانب الأخرى وهي على غاية الأهمية ، كالعقيدة السليمة ، والعلم الشرعي ، والأخلاق الخ..

وثانيهما : أن بعضهم يتساهل بالمشروعات مما هو في مرتبة السنة ، بحجة أنها سنة - بالمعنى الفقهي - يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها . مع أن العلماء قد نصّوا - بناء على أحاديث تحض على التمسك بالسنة - على أن من يعتاد على ترك السنة يعاقب ، وأنه مسيء ، وأن تارك السنن المؤكدة يعاقب ، وقال بعضهم : ياثم بتركها . انظر : كشاف اصطلاحات الفنون : 4/54 .

6- جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (249) ، وانظر : الوصية الكبرى لابن تيمية بتحقيقي ص (60) ، كشف الأسرار على البزدوي : 1/8 ، دليل الفالحين لابن علاّن : 1/415 .

7- مفهوم أهل السنة والجماعة ، للدكتور ناصر عبد الكريم العقل ص 42-43 .

8- الوصية الكبرى لابن تيمية ص 60-63 .

9- انظر: نموذج من الأعمال الخيرية ، لمحمد منير الدمشقي ص 259 .

إلى الموقعين عن رب العالمين

الشيخ عبد الله بن حسن القعود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإلى أخوتي وأحبتي في الله ، إلى من استشهد الله بهم على أجل وأعظم مشهود عليه : توحيده الذي أنزل به كتبه ، وأرسل به رسله، وخلق الثقلين ليعبدوه به، إلى من استشهد بهم على هذا الأمر ، ولم يذكر لهم وصفاً غير وصفهم بالعلم ، لأن المفترض في طالب العلم أن يكون على حال تؤهله للشهادة بالحق وعلى الناس يوم يقوم الإشهاد، لا لشهادة الناس عليه بالتقصير في البلاغ والبيان . إلى من اصطفاهم الله لحمل شرعه ، واستحفظهم كتابه ، إلى من تفرش لهم الملائكة أجنحتها ، ويستغفر لهم من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، إلى من أخذ عليهم العهد بالبيان وألا يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ، إلى من هـم أعلـم الناس بالله وشرعه ((وَيَرَى الَذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَذِي أُنزِلَ إلَيْكَ مِن رَّبِّـكَ هُـوَ الحَــقَّ)) [سـبأ 6] ، ((وإذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ)) [المائدة 83]،((أَفَمَــن يَـعْـلَـمُ أَنَّـمَــا أُنـزِلَ إلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى..)) [الرعد ، 19].. إلى من هم أعلم الناس وأدرك الـنـاس لـمدلول ومقتضى نصوص المراقبة ومدلول ومقتضى نصوص إرادة الدنيا بعمل الآخرة كقوله سبحانه : ((واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ)) [البقرة 253]، ((يَـعْـلَـمُ خَـائِـنَـةَ الأَعْـيُــنِ ومَا تُخْفِي الصُّدُورُ)) [

غافر 19]،((وأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ))[الملك 13]، وكقوله سبحانه : ((مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (15) أُوْلَئِكَ الَذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إلاَّ النَّارُ)) [هود 15] ، ((مَن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً)) [الإسراء 18] ، ((وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) وَلا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)) [البقرة 42] .
إلى هؤلاء أوجه تذكيري ونصحي ، لا لأني أديت واجباً فأنا في مقدمة المقصرين وصغار طلبة العلم ؛ ولكن لتجربة مرت بي ، فقد حصل لي نصائح ممن هو أقل مني سناً وعلماً كان لها أثر في نفسي - جزى الله من أسداها إلي خيراً - وقديماً قيل : قد يكون في النهر ما ليس في البحر .
قال -عليه الصلاة والسلام- : "رب مبلّغ أوعى من سامع" ، وقال تعالى عن نبيه موسى أنه قال للخضر : ((هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً)) [الكهف 66] ، وأخص بتوجيه نصيحتي بعد تعميمها الذي هو الأصل ، ذوي الصلة القوية بالسلاطين والمترفين ، فإن الافتتان - حسب السنن - أسرع إليهم منه إلى غيرهم ، بل إليهم أسرع من السيل إلى منحدره - وقانا الله وإياهم شر الافتتان - قال عليه الصلاة والسلام : "من بدا جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلاطين افتتن"(1) - أي عرض نفسه للفتنة - وقال -عليه الصلاة والسلام- : "ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"(2) ، إلى هؤلاء وأمثالهم من المتسابقين إلى أعتاب المترفين والمبادرين بتأول أخطائهم وتبرير وتأييد ما هو محل نظر من أفعالهم ، وإلى من يسعون كثيراً مع عالم مصلح ليعدل عن عمل بر بدأه ، أو ليسكت عن منكر أنكره ، فإني أخاف على نفسي وعليهم في موقف ما من خطورة مخالفة ما استحفظهم الله إياه أمثال : ((ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثْمِ والْعُدْوَانِ)) [المائدة 12] ، ((رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ)) [القصص 17] ، ((إنَّا أنزَلْنَا إلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ولا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً * واسْتَغْفِرِ اللَّهَ إنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً * ولا تُجَادِلْ عَنِ الَذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ولا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وهُوَ مَعَهُمْ إذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ القَوْلِ وكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً * هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وكِيلاً)) [النساء 109] ((واحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إلَيْكَ)) [المائدة 49] ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَذِينَ لا يَعْلَمُونَ * إنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وإنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ واللَّهُ

ولِيُّ المُتَّقِينَ)) [الجاثية 19] ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ واللَّهُ يَعْلَمُ إسْرَارَهُمْ)) [محمد 19] .
فيا علماء المسلمين الموقعين عن رب العالمين : المفترض فيكم أن تكون أعمالكم وأقوالكم ومعاملاتكم مادية أو أدبية بياناً وتفسيراً وإظهاراً لشرع الله ، أقول لكم مذكراً لا معلماً : تنبهوا جيداً لما يصدر منكم من أقوال أو أفعال أو تقريرات حول الأمور العامة ، وما يطلبه ولاة الأمر خاصة ، فقد يؤخذ عنكم أمر يصعب عليكم تداركه ، وتحقيق قول الله فيه : ((إلاَّ الَذِينَ تَابُوا وأَصْلَحُوا وبَيَّنُوا)) [البقرة 160] فيما لو استبان لكم خطؤه بعد. فلا أخطر على الأمة أفراداً أو جماعات ، حكاماً أو محكومين من تأول أو تساهل أو زلة عالم - وقانا الله وإياكم شرها - اذكروا في كل ما تأتون وما تذرون وخاصة في هذا الشأن ، موقفكم أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية ، الذي أوجدكم وعلمكم لتكونوا شهداء على الناس بالبيان والبلاغ الحق يوم يقوم الإشهاد يوم لا خلة ولا شفاعة ، يوم يتبرأ المتبوعون من التابعين ، فلقد وجدتم وعلمتم لتُتَّبَعوا بعلمكم لا لتتبعوا به ، ولم يكن ذلك بالنسبة لكم محل اختيار ، فأوامر الله تقتضيه ، وما يهدد به تلاحم العلماء ، والتفاف الشباب حولهم يستدعيه ، فلقد أدركت قوى الشر أن ذلك قوة تهدد مصالحها فأخذت تعمل جادة بأساليبها المتنوعة على خلخلة مكانة العلماء في النفوس أحياء أو أمواتاً لتفصل من استطاعت فصله عنهم ، كفصل عربات القطار عن غرفة قيادتها ، مما يتطلب منكم تضييق المجال أمامها ومواقف أسلافكم وتحفظاتهم معروفة لديكم ، ومن أقربها فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- ، وبالأخص ما هو موجه منها لولاة الأمر ، أو يتعلق بالتوحيد أو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ربط الله خير أولكم بآخركم ، وخير آخركم بأولكم ، وجعلني وإياكم خير خلف لخير سلف ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه نصيحة أخ مشفق على نفسه وعليكم وعلى الأمة التي خيرتها وحياتها العادلة السالمة من الغلو والجفاء في التأصيل بكم في كل أمر من أمورها ، أقر الله أعينكم بذلك وأبعدكم عن ضده مما أبرزه العلماء للعلماء تحذيراً لهم من الوقوع فيه .
قال ابن رجب -رحمه الله- في شرحه لحديث ما ذئبان جائعان : واعلم أن الحرص على الشرف يستلزم ضرراً عظيماً قبل وقوعه ، في السعي في أسبابه ، وبعد وقوعه ، بالحرص العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد ، وقد صنف أبو بكر الآجري - وكان من العلماء الربانيين في أوائل المائة الرابعة مصنفاً في أخلاق العلماء وآدابهم ، وهو من أجل ما صنف في ذلك ، ومن تأمله علم منه طريقة السلف من العلماء ، والطريق التي حدثت بعدهم المخالفة لطريقتهم ، فوصف فيه عالم السوء بأوصاف طويلة منها أنه قال : وقد فتنه حب الدنيا : الثناء والشرف والمنزلة عند أهل الدنيا ، يتجمل بالعلم كما تتجمل بالحلية الحسناء للدنيا...

فتذلل للملوك وأتباعهم فخدمهم بنفسه ، وأكرمهم بماله ، وسكت عن قبيح ما ظهر له من الدخول في إيواناتهم وفي منازلهم من أفعالهم ، ثم قد زين لهم كثيراً من قبيح فعلهم بتأويله الخطأ ليحسن موقعه عندهم ، فلما فعل هذا مدة طويلة واستحكم فيه الفساد ولّوه القضاء فذبحوه بغير سكين ، فصارت لهم عليه منة عظيمة ، ووجب عليه شكرهم فآلم نفسه لئلا يغضبهم عليه فيعزلوه عن القضاء ، ولم يلتفت إلى غضب مولاه الكريم.. إلى قوله عنه فالويل لمن أورثه علمه هذه الأخلاق ، وهذا العلم هو الذي استعاذ منه النبي - صلى الله عليه وسلم... وكان يقول : اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لاتشبع ، ومن دعاء لا يسمع ، إلى قوله : هذا كلام الإمام أبي بكر الآجري -رحمه الله- ، وكان في أواخر الثلاثمائة ، ولم يزل الفساد بعده متزايداً على ما ذكرناه أضعافاً مضاعفة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال -رحمه الله- : - أعني بن رجب - ومن دقيق آفات حب الشرف طلب الولايات والحرص عليها ، وهو باب غامض لا يعرفه إلا العلماء بالله العارفون به ، المحبون له ، الذين يعادون له من جهال خلقه ، المزاحمون لربوبيته وإلهيته ، مع حقارتهم وسقوط منزلتهم عند الله وعند خواص عباده العارفين به كما قال الحسن -رحمه الله- فيهم : إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية في رقابهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.. وقال : ومن هذا الباب أيضاً أن يحب ذو الشرف والولاية أن يحمد على أفعاله ويثنى عليه بها ، ويطلب من الناس ذلك ويتسبب في أذى من لا يجيبه إليه ، وربما كان ذلك الفعل إلى الذم أقرب منه إلى المدح ، وربما أظهر أمراً حسناً ، في الظاهر وأحب المدح عليه وقصد به في الباطن شراً ، وفرح بتمويه ذلك وترويجه على الخلق ، وهذا يدخل في قوله تعالى : ((لا تَحْسَبَنَّ الَذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ويُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ العَذَابِ)) [آل عمران 188] ، فإن هذه الآية إنما نزلت فيمن هذه صفاته وهذا الوصف - أعني طلب المدح من الخلق ومحبته والعقوبة على تركه - لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له .

ومن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق ، ويأمرون بإضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له فإن النعم كلها منه... ا. هـ .

وبهذا وبأمثاله يتذكر طالب العلم أن قيمته في دنياه وأخراه في صيانة علمه ، وتقوى الله فيه ، وبعده به أن يشتري به ثمناً قليلاً ، وأنه كلما ابتعد عن المجالس التي لا يقول في أهلها قولته فيهم أمامهم كما يقولها فيهم إذا خرج من عندهم وابتعد كذلك عما تطوق به الرقاب وتخرس به الألسن من أعطيات خاصة به مادية أو أدبية كلما كان أثبت لجأشه وأكثر لاحترامه وأدعى لقبول

قوله ، وإنه بفقدان ذلك يهون هواناً عظيماً أشبه بهوان اليد التي كانت ثمينة لما كانت أمينة ولما خانت هانت .
وليعتبر علماؤنا بموقف الشيخ سعيد الحلبي عالم الشام في عصره ، حين دخل عليه الجبار إبراهيم باشا وكان في حلقة العلم مع طلابه ماداً رجله ، فما غيَّر جلسته ، وما أبَه لهذا الداخل الذي كانت تهتز لمروره الأرض ، ثم بعد خروجه أرسل له رسولاً معه صرة من المال ليقدمها إليه هدية من الأمير يستعين بها على قضاء حوائجه فقال للرسول: قل للأمير ، إن من يمد رجله لا يمد يده !(3)
وأختم النصح بأنه إذا كان لطالب العلم في أي عصر أو مصر مكانة وصدارة حقة يؤدي فيها وبها واجب النصح الحقيقي المأخوذ به العهد فغشيان أبوابهم لنصحهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أولى من البعد عنهم . أما من لم يكن كذلك فيفر منهم فراره من الأسد حفاظاً على نفسه من الافتتان .
((رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا)) [آل عمران8] ((رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ واتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)) [آل عمران 53] . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

الهوامش :

1- صحيح الجامع 6122 .
2- حديث صحيح رواه أحمد والنسائي وغيرهما .
3- والقصة في كتاب : رجال من التاريخ ، لعلي الطنطاوي .

خواطر في الدعوة

التجمعات الصغيرة

محمد العبدة

لا ضير على من يتصدى للدعوة أن يتكلم عن الأخطاء والأمراض التي توهن العمل وتضعف الصف، فإن الكلام في مثل هذه الأمور ليس من التشاؤم ولا من التثبيط، ولكنه من الإصلاح الذي تحتاجه الدعوة باستمرار .
داء قديم سـرى إلـى التجمـعـات الإسلامية كنا نسميه مشكلة (الشِلَلْ) وهو أن يتجمع عدد قليل ممن تتقارب أسنانهم أو ثقافـتهم أو جمعهم الأقليم الواحد ، وقد يكون هذا طبيعياً في البداية،ولكن بسبب انسجام آرائهم، يتطور الأمر ليشكلوا أداة ضغط على العمل ويتعصبون لبعضهم، ويقدمون الخدمات لأنفسهم،ويحاولون كسب الأنصار، ولا مانع عندهم من وضع الناس في غير مواضعهم وعلى حساب الكفاءة والإخلاص، وتـسـيـر الأمــور بـهـذه الطريقة وتصبح كأنها ظاهرة طبيعية فيشار إليها ضمن العمل الكبير ويقال : مجموعة

فلان أو (شلة فلان). وهذا المرض إذا لم يتنبه له في البداية يستفحل ويؤثر تأثيراً سلبياً على الدعوة .
وعودة إلى السيرة النبوية وفقهها ترينا كيف منع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل هـذه التجمعات التي تبنى على القـرب الجغرافي أو الانسجام في النفسيات، وذلك بأن استفاد من الطاقات المبدعة ووضع كل إنسان موضعه ، وشغلهم بالنافع والمفيد ، ولم يقرب أحداً لقرابة أو لمغنم أو مغرم ، فالكل يرى نفسه منسجماً مع الدعوة له مكان فيها ، ولكن عندما تقع أخطاء مثل هذه من الكبار فمن الطبيعي أن يكون رد الفعل انحرافات مثلها ، فيتجمع العدد القليل ليثبتوا أنهم موجودون وأن لهم تأثيراً وفاعلية .
وقد يكون من الطبيعي أن ينسجم عدد محدود مع بعضهم على ألا يؤدي هذا إلى عمل جيوب داخل الجماعة ، وعلى من يمارس عملاً مثل هذا أن يتقي الله ، ويشعر بالمسؤولية ولا يزكي أحداً إلا على أساس الكفاءة والاخلاص .

لقطات
من هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في التعليم

محمد بن عبد الله الدويش

هذه وقفات يسيرة مع هديه - صلى الله عليه وسلم - فـي التعليم ، ولا شك أن هذا الباب واسع ويحتاج لاستقصاء وجمع لا يتيسر لأمثالي ، لكن هـذا غاية ما توصلت إليه في بحثي القاصر ، ورحم الله من أفادنا بملاحظة ، أو إضافة ، أو توجيه .

عنايته بتعليم المنهج العلمي :

ففي تربيته العلمـية لأصحـابه مـا كـان يقتصر على تعليم أصحابه مسائل علمية فقط، بل ربى علماء ومجتهدين ، وحملة العلم للـبـشـريــة . ولقــد ظهـرت آثار هــذه التربية على صحابته في مواقفهم بعد وفاته من حادثة الردة ، وجمع القرآن ، وشرب الخمر ، واتخاذ السجون ، والخراج وغير ذلك من المسائل التي اجتهد فيها صحابته -رضوان الله عليهم- ، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام النوازل التي واجهتهم ، واسـتـطـاعــوا أن يتوصلـوا فيها للحكم الشرعي ، كل ذلك كان نتاج التربية التعليمية التي رباهم عليها - صلى الله عليه وسلم - ومن معالم تعاليمه المنهج العلمي :

1- كان يعودهم على معرفة العلة ومناط الحكم :

فلما سئل عن بيع الرطب بالتمر ، قال : "أينقص الرطب إذا جف ؟" ، قالوا نعم ، فنهى عن ذلك(1) . وحين نهاهم عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها قال لهم : "أرأيت إن مـنـع الله الثمرة بم تستحل مال أخيك؟"(2) . وحين قال :

"وفي بضع أحدكم صدقة" ، قالوا له : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ، قال : "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر" ، قالوا نعم ، قال : "فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجراً"(3) .
ففي هذه النصوص علم أصحابه علة الحكم ومناطه ، ولم يقتصر على الحكم وحده .

2- كان يعودهم على منهج السؤال وأدبه :

ففي موضع يقول : "إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم من أجل مسألته"(4) ، و : "إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال"(5) . فها هنا يذم السؤال ، لكنه في موضع آخر يأمر بالسؤال ، أو يثني عليه . "ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال"(6) ، "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث"(7) .

3- كان في إجابته لا يقتصر على موضع السؤال بل يجيب بقاعدة عامة :

سأله رجل : إنا نركب البحر ومعنا القليل من الماء فإذا توضأنا به عطشنا ، أفنتوضأ بماء البحر ؟ فلم يقتصر - صلى الله عليه وسلم - في إجابته على قوله نعم ، وإلا كان الحكم قاصراً على الحالة موضع السؤال وحدها ، إنما أعطاه حكم ماء البحر وزاده فائدة أخرى يحتاج إليها حين قال : "هو الطهور ماؤه الحل ميتته"(8) ، ويعني هذا أن ماء البحر له سائر أحكام الماء الطهور ، وليس فقط يجوز الوضوء به في هذه الحالة . وسئل : ما يلبس المحرم من الثياب ؟ ، فقال : "لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوباً مسه ورس ولا زعفران ولا الخفين"(9) ، فلم يعدد له ما يجوز للمحرم لبسه بل أعطاه قاعدة عامة فيما يحل وما لا يحل للمحرم لبسه .

4- تربيته لأصحابه على منهج التلقي :

عن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال : وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، فقال : "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجد"(10) ، وقال في وصف الطائفة الناجية : "من كانوا على ما مثل أنا عليه اليوم وأصحابي"(11) . وحين رأى مع عمر صحيفة من التوراة غضب ، ونهاه عن ذلك ، وقال : "لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي"(12) .

5- تربيتهم على منهج التعامل مع النصوص :

خرج على أصحابه وهم يتمارون في القدر ، هذا ينزع آية ، وهذا ينزع آية فغضب حتى كأنما فقىء في وجهه حب الرمان من الغضب . وقال : "بهذا

أمرتم ، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ؟! ، انظروا إلى ما أمرتكم به فاتبعوه ، وما نهيتم عنه فاجتنبوه"(13) .

6- تعويدهم على الاستنباط :

سأل أصحابه يوماً : "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي" . قال ابن عمر - راوي الحديث - فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت . ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : "هي النخلة"(14) .

تربيته لأصحابه على القيام بواجب العلم

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار"(15) .
وقال - صلى الله عليه وسلم - : "بلغوا عني ولو آية"(16) . وقال - صلى الله عليه وسلم - : "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع"(17). وقد روى هذا الحديث (24) من أصحابه مما يشعر أنه قاله - صلى الله عليه وسلم - في أكثر من مناسبة .
وانظر إلى أثر هذه التربية في قول أبي ذر -رضي الله عنه- : "لو وضعتم الصمصامة - السيف - على هذه - وأشار إلى رقبته - واستطعت أن أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قبل أن تجهزوا علي لأنفذتها"(18) .

ترغيبه أصحابه في العلم

ولا شك أن لذلك الترغيب دوراً كبيراً في إيجاد الحماسة لدى طالب العلم للتعلم ، والاستزادة من ينابيعه. فحين جاء ثلاثة نفر وهو جالس مع أصحابه فجلس أحدهم خلف الحلقة ، والآخر رأى فرجة فجلس فيها ، وأما الثالث فأعرض ، فقال - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك : "أما الأول فآوى فآواه الله ، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الثالث فأعرض ، فأعرض الله عنه"(19) .

تشجيع الطالب والثناء عليه :

سأله أبو هريرة -رضي الله عنه- يوماً : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - : "لقد ظننت أن لا يسألني أحد عن هذا الحديث أول منك لما علمت من حرصك على الحديث"(20) ، فتخيل معي أخي القارئ موقف أبي هريرة ، وهو يسمع هذا الثناء وهذه الشهادة من أستاذ الأساتذة ، وشيخ المشايخ - صلى الله عليه وسلم - ، بحرصه على العلم بل وتفوقه على الكثير من أقرانه ، وتصور كيف يكون أثر هذا الشعور دافعاً لمزيد من الحرص أو الاجتهاد .
وحين سأل أبي بن كعب : "أبا المنذر أي آية في كتاب الله أعظم ؟" ، فقال أبي : "آية الكرسي" ، قال له : "ليهنك العلم أبا المنذر"(21) .

الجمع بين التعليم الفردي والجماعي :

في كثير من النصوص نقرأ : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - جالساً مع أصحابه ، بينما كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فهذا نموذج للتعليم الجماعي . وأما التعليم الفردي فنماذجه كثيرة ، قال ابن مسعود -رضي الله عنه- : "علمني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التشهد كفي بين كفيه"(22) . ومن ذلك ما ورد من غير واحد من أصحابه : أوصاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . ومن ذلك حديث معاذ : "كنت رديف النبي - صلى الله عليه وسلم - على حمار فقال : يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله.."(23) .

معرفة قدرات تلامذته وإدراكهم العقلي :

فهو يقول لأبي هريرة حين سأله عن الشفاعة لقد ظننت أن لا يسألني أحد عن هذا الحديث أول منك لما أعلم من حرصك على الحديث(24) .

التوجيه للتخصص المناسب :

روى البخاري تعليقاً والترمذي عن زيد بن ثابت : أن قومه قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - : ها هنا غلام من بني النجار حفظ بضع عشرة سورة ، فاستقرأني فقرأت سورة ق ، فقال إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا ، فتعلم السريانية . فتعلمها - رضي الله عنه - في سبعة عشر يوماً .

العناية بتعليم المرأة :

فحين صلى العيد - صلى الله عليه وسلم - اتجه إلى النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة(25) ، بل تجاوز الأمر مجرد استغلال اللقاءات العابرة ، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النساء قلن لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك" ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن : "ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار" ، فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال : "واثنين"(26) .

استغلال المواقف في التعليم

قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - سبي ، فإذا امرأة من السبي تحلَّبَ ثديها تسقي ؛ إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها ، وأرضعته ، فقال : "أترون هذه طارحة ولدها في النار" ، قالوا : لا ، وهي تقدر على أن لا تطرحه ، قال : "لله أرحم بعباده من هذه بولدها"(27) .

التشويق والتنويع في عرض المادة :

فهو أحياناً يطرح المسألة على أصحابه متسائلاً : "أتدرون ما الغيبة"(28) ، "أتدرون من المفلس"(29) ، "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثلها مثل المسلم فأخبروني ما هي"(30) . ولا شك أن السؤال مدعاة

للتفكير وتنميته ، ومدعاة للاشتياق لمعرفة الجواب مما يكون أرسخ في الذهن .
وأحياناً يغير نبرات صوته : "كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم"(31) .
وأحياناً يغير جلسته كما في حديث أكبر الكبائر : "وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور"(32) .

استعمال الوسائل التعليمية :

أ- فهو يشير تارة بقوله : "أنا وكافل اليتيم كهاتين وأشار بأصبعه السبابة والوسطى"(33) ، وقوله : "الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان" وأشار بيده إلى المشرق(34) .
ب- وتارة يضرب المثل ، أو يفترض قصة : "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فكان بعضهم أسفلها وكان بعضهم أعلاها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً فلم نؤذ من فوقنا ، فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ، وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً"(35) . وكما في قوله : "لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على دابته وقد أضلها في أرض فلاة وعليها طعامه وشرابه فنام تحت شجرة ينتظر الموت ، فقام فإذا هي عند رأسه"(36) .
جـ- وتارة يستعمل الرسم للتوضيح فقد خط خطاً مستقيماً وإلى جانبه خطوط ، وقال هذا الصراط وهذه السبل . ورسم مربعاً وقال هذه الإنسان..(37) .
د- وأحياناً يحكي قصة واقعية من الأمم السابقة ، كما في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدعوا الله بصالح أعمالهم(38) . وقصة الذي قتل تسعة وتسعين نفساً(39) ، وأمثالها كثير .

مراعاة الفروق الفردية

كما ورد أنه كان - صلى الله عليه وسلم - يخطب فدخل رجل فقال : يا رسول الله رجل غريب يسأل عن دينه ، فترك خطبته ودعا بكرسي فجلس يعلمه ثم عاد لخطبته(39) .

العناية بالتعليم :

كما في الحديث السابق ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يحدث أصحابه فجاء رجل فسأل عن الساعة فمضى في حديثه . فقال قوم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال قوم : لم يسمع . ثم سأل مرة أخرى : متى الساعة ؟ فمضى في حديثه ، فلما انتهى من حديثه قال : أين أراه السائل عن الساعة ، فقال : أنا ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : وما إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة(40) ، فهو -

صلى الله عليه وسلم - رغم أنه لم يقطع حديثه لم ينسَ هذا السائل ولم يهمله .
وحين خطب في حجة الوداع قال أبو شاه : اكتبوا لي : فقال : اكتبوا لأبي شاه(41) .

تأكيد ما يحتاج التأكيد :

فقد حلف على مسائل كثيرة تزيد على الثمانين : "والله لا يؤمن.. والذي نفسي بيده.. وأيم الله.." وغيرها كثير .

مراجعة العلم والحفظ

فقد أوصى حفاظ القرآن بتعاهده والعناية به : "تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها"(42) ، وكان جبريل يدارسه القرآن(43) .
وحين علم - صلى الله عليه وسلم - البراء دعاء النوم قال أعده علي فقال : وبرسولك -الذي أرسلت فقال - صلى الله عليه وسلم - بل وبنبيك الذي أرسلت(44) .

الهوامش :

1- رواه الخمسة وصححه ابن المديني والترمذي والحاكم .
2- رواه الشيخان وابو داود وابن ماجه من حديث أنس .
3- رواه مسلم وأحمد .
4- رواه أحمد والشيخان وأبو داود من حديث سعد .
5- متفق عليه من حديث المغيرة ، ورواه مسلم وأحمد عن حديث أبي هريرة .
6- رواه أبو داود من حديث جابر وصححه الالباني في الإرواء (105) .
7- رواه البخاري من حديث أبي هريرة .
8- رواه الأربعة وصححه البخاري وابن خزيمة والترمذي وابن المنذر .
9- رواه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي من حديث ابن عمر .
10- رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح .
11- رواه أبو داود غن ابن عمرو وحسنه الألباني .
12- رواه أحمد والدارمي وحسنه الألباني بشواهده في الإرواء .
13- رواه أحمد وابن ماجه وصححه أحمد شاكر .
14- رواه أحمد والشيخان والترمذي عن ابن عمر .
15- رواه أحمد وأهل السنن عن أبي هريرة .
16- رواه أحمد والبخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو .
17- حكى السيوطي والكتاني والزبيدي تواتره .
18- رواه البخاري تعليقاً .
19- رواه مالك والبخاري عن أبي واقد .

20- رواه البخاري عن أبي هريرة .
21- رواه مسلم .
22- متفق عليه .
23- رواه أحمد والشيخان عن أنس .
24- رواه البخاري .
25- رواه البخاري عن ابن عباس .
26- رواه البخاري عن أبي سعيد .
27- متفق عليه من حديث عمر .
28- رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة .
29- رواه أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة .
30- رواه أحمد والشيخان والترمذي عن ابن عمر.
31- رواه مسلم عن جابر .
32- رواه أحمد والشيخان والترمذي عن أبي بكرة .
33- رواه أحمد والبخاري وأبو دادو والترمذي عن سهل .
34- متفق عليه من حديث ابن عمر .
35- رواه أحمد والبخاري والترمذي عن النعمان بن بشير .
36- متفق عليه من حديث أنس .
37- رواه البخاري والترمذي عن ابن ماجه .
38- متفق عليه من حديث ابن عمر .
39- متفق عليه من حديث أبي سعيد .
40- رواه مسلم وأحمد عن أبي رفاعة .
41- رواه البخاري عن أبي هريرة .
42- رواه أحمد والشيخان عن أبي موسى .
43- رواه البخاري والنسائي وأحمد .
44- رواه الشيخان وأبو داود والترمذي من حديث البراء .

تأملات في واقع الحياة

الأخوة
بين النظرية والتطبيق

محمد الناصر

كـثـيـراً مـا يستشهد الدعاة إلى الله، بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، خــلال خطـبـهـم ومحاضراتهم ، وذلك حق لا غبار عليه .
إذ استقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين ، وشاطروهم الأموال وساكنوهم في الديار ، ثم بذلوا لهم النفس والنفـيس ابتغاء رضوان الله . ولذلك كان حب

الأنصار جزءاً من عقيدة الإسلام وبات بغضهم نفاقاً يزري بـصـاحـبه. قال تعالى : ((والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ والإيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إلَيْهِمْ ولا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ويُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ ولَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)) [الحشر:9] .
وفي الحديث الشريف : "آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار" (صحيح البخاري ، كتاب الإيمان) .
بهذه الأخوة قام المجتمع المسلم في مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.. إذ تجاوز هــذا التآخي النظريات والشعارات إلى عالم التطبيق الجاد.. ذلك أن المغترب بدينه يشعر بفرحـة عجيبة تنسيه آلام الغربة وفراق الديار والأحباب ، وتخفف عنه طغيان الجاهلية التي تطارده أينما توجه لتفتنة في دينه وتؤذيه في عرضه وأبنائه..
واليوم كم من المشردين المسلمين، الـذين يهـيمــون على وجـوهـهـم هـرباً بدينهم من نيران الجاهلية المعاصرة أو طغيان الأنظمة الفاجرة ! فهل يجد هؤلاء من إخوتهم الناصر والمعين؟
لا شك أنه توجد حفنة من المؤمنين الأخيار في كل بلد، يخففون من المأساة، ولكن كم تبلغ نسبة هؤلاء الطيبين ؟! إن الـغالبـيـة مـع الأسـف تنظر إلى هؤلاء المنكوبين بمقياس الربح والخسارة في التعامل ، لأن جوانب الحياة باتت تلف كثيراً من قـطـاعـات المجتمعات في ديار المسلمين . وإلا فما معنى أن يعرض على خريج الجامعات ومن يحمــل الاختصاصات العليا راتب لا يزيد عن أجر العامل أو سائق السيارة ، مستغلين حاجة هــذا الأخ ، دون تقدير لوضعه وكرامته ومؤهلاته ؟! حجة هؤلاء أن العرض أكثر من الطـلـب وأن المؤسسة هذه قد لا تتاح لها الأرباح الخيالية.. شأن بقية المؤسسات والشركات..
أخي القارئ ، عندما نقول : إن الأنصار توسعوا لإخوانهم في بيوتهم ، ثم نجد أن كثيراً من العمارات خالية طوال السنة ، وأن كثيراً من إخوة العقيدة ربما لا يكفي دخلهم أجور مسكنهم ، ثم نطلب منهم أن يستمعوا إلى حديثنا عن آفاق التآخي في مدينة رسول الله ، فهل يجد هؤلاء لكلامنا معنى؟ أم أن الواقع المرير يغني عن كل مقال (1) ؟!.
عـندمــا يأتي الإخوة الصغار يطلبون من أحدنا عوناً ما مادياً أو معنوياً ، فهل نعطيهم من وقتنا ومن أنفسنا ما يشعرهم بلحمة التآخي ، ومعاني الموالاة بين المؤمنين؟! أم أننا نعتذر بكثرة المشاغل وثقل التبعات وتعقيد أمور الحياة؟!
لقد كــان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تستوقـفـه الـمـرأة تسأل أو الرجل صاحب الحاجة ، وكذلك كان خلفاؤه وأصحابه فلا تذمر ولا شكوى .
وعندما يواجه بعض إخوة الدين مشكلة ما ؛ هل نعطيها من وقتنا وتفكيرنا ما تستحقه ؟ أم أن اللامبالاة تكون هي الرد الطبيعي، مما يصفع كثيراً من

هؤلاء؟!إن المسؤولية ضخمة، وما علينا إلا أن نعيد حساباتنا مع أنفسنا في أقوالنا وأفعالنا .
أن نتقي الله في حمل الأمانة ، فقد أصبح الانفصام بين النظرية والتطبيق أمراً مخيفاً منفراً..
إننا لكي نساهم في بناء مجتمع مسلم قوي ؛ فلا بد من تآخٍ يعيد للمسلمين الصورة الناصة للإخوة بعيداً عن الكلام والنظريات .
1- هذا مقال يوضح الفجوة بين الكلام النظري في الإخوة وبين التطبيق ، ولا يراد منه أن تسكن البيوت بدون أجرة

سنن الفطرة وآثارها التربوية

صالح أبو عرَّاد الشهري

إن الإسلام دين الفطرة التي قال فيها الحق سبحانه:((فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)) وتتمثل هذه الفطرة في طهارة المسلم ظاهراً وباطناً، فـأمـا طهارة الباطن فهـي متعلقة بالقلب وتعني تطهير النفس الإنسانية من الشرك بالله ، وتتطـلـب إخــلاص العـبادة لله وحده لا شريك له ، والقيام بالأعمال الصالحة والأفعال الخيرة . وأما طـهـارة الـظـاهر فهي الفطرة العملية التي تشتمل على كل ما كان متعلقاً بجمال المظهر عند الإنسان المسلم وحسن سمته . لما في ذلك من ملاءمة للفطرة السوية التي خلق الله الإنسان عليها ، والتزام بهدي النبوة المبارك. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جــزءاً مـن النبوة" رواه أبو داوود .
ولأن الإسلام هو دين الفطرة الذي عرف أسرارها ، وكشف خباياها ، وسبر أغوارها ، فقد قدم لها ما يُصلحها وما يصلح لها من تعاليم وسنن وتوجيهات جاءت كالثوب الـمـنـاسـب لمختلف الأعضاء ، والملائم لشتى الأبعاد . لذلك كله جاءت سنن الفطرة لتشكل رافداً مــن روافــد الـتـربية الجمالية في حياة المسلم ، ولتعرض نموذجاً مثالياً لحياة المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، كما إنهـا تحقـق مـعـنـى التوازن الذي تفتقده جميع الفلسفات البشرية التي عرفها الإنسان قديماً وحاضراً حيث إنـهـا ترتكز مرة على الجانب الجسدي ، وتارة على الجانب العقلي ، وأخرى على الجانب الـنفـسي وهكذا..
كل هذا يعني أن سنن الفطرة تضع الشخصية المسلمة في وضع متوازن عادل يمثل الوسطية المطلوبة فلا إفراط ولا تفريط . وليس هذا فحسب بل إن هـذه الـسـنـن فـي مجـموعها تمنح الإنسان تكريماً إلهياً يأتي كأبدع ما يكون التكريم .
وهـذا الـبـحـث يقــدم مــن خـلال سنن الفطرة نموذجاً للتربية الإسلامية يتحقق في كرامة الإنسان المسلم الذي أراد الله -جـل وعــلا- أن يكون خليفة

في الأرض ، ويتمثل في توازن شخصيته في جوانبها المختلفة ، كما يتحقــق فـيـه أيـضـاً هدف التربية الغائي في استقامة الإنسان واستقامة الحياة، وذلك أسمـى مــا تصـبـو إلـيـه الـتـربـية، عند بنائها لشخصية الإنسان المسلم .

سنن الفطرة نموذج تربوي نبوي :

تحتاج كل تربية إلى نموذج واضح يجسد معالم هذه التربية ويوضح تعاليمها بصورة واقعية تنقل المجرد إلى محسوس ، والقول إلى عمل ، والنظرية إلى تطبيق .

وفي التربية الإسلامية لا يوجد أعظم ولا أكمل ولا أفضل من شخصية محمد - صلى الله عليه وسلم - لتكون نموذجاً حياً ، وقدوة حسنة للإنسان المسلم في كل زمان ومكان . ولا ريب فهو من اصطفاه ربه -جلا وعلا- وقال فيه : ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)) [الأحزاب 21] . وهو الذي بعثه الله لأمته معلماً ومزكياً ومربياً . قال تعالى: ((لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ)) [آل عمران 164] . وهو الذي مدحه ربه سبحانه بما منحه فقال له سبحانه في كلمات موجزات : ((وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) [القلم 4] . فكان كل خلق فاضل وسلوك سليم متمثل في حياة رسول الله وشخصيته المتكاملة التي استوعبت كل جوانب الحياة .

وبذلك جسَّد الرسول - صلى الله عليه وسلم - منهج التربية الإسلامية السامية في الواقع العملي لحياته متمثلاً في سنن الفطرة . من هنا كان للمحافظة على هذه السنن أثر تربوي عظيم يتمثل في أن التزام المسلم بها وتطبيقه لها في واقع حياته يدل على أمرين هما :

* التصديق بما ورد في سيرة الرسول والتقليد والاتباع لهدي التربية النبوية في كافة الأعمال وجميع التصرفات . وهذا بدوره كفيل بتعود المجتمع المسلم بمن فيه من أفراد على السمع والطاعة والامتثال لأوامر الله والرسول - صلى الله عليه وسلم - ، لا سيما وأن في الناس نزعة فطرية لتقليد ومحاكاة من يحبون ، وليس هناك أحب عند المسلم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

* اتخاذ القدوة الحسنة من المعلم الأول والمربي الأعظم - صلى الله عليه وسلم - كشخصية فذة متكاملة متوازنة . وتتضح هذه القدوة في اهتمامه بالجوانب المتعلقة بالجانب الجسمي والنظافة العامة حينما يتفقد المسلم أظافره فيقصها ، وفمه فينظفه ، وأسنانه فيسوكها ، وشاربه فيقصه ، وإبطيه فينتفهما... الخ .

وهذا بدوره ينفي الزعم الباطل القائل بأن الإسلام لا يهتم بالناحية الجسمية بل ويؤكد قضية التوازن في اهتمام التربية الإسلامية ورعايتها لمختلف الجوانب الجسمية والروحية والعقلية ، فلا يستغرب بعد ذلك أن يعرف المسلم

لأول وهلة حين يرى سمته ووقاره ، وهيئته الخارجية وشكله العام الذي يميزه عن غيره من الناس. لأن هذه السنن في مجموعها جعلت له شخصية مميزة ، ومظهراً خاصاً ، ونموذجاً فريداً يقتدي فيه بإمام الطاهرين وقدوة الناس أجمعين - صلى الله عليه وسلم - .

سنن الفطرة والتربية الجمالية :

تدعو التربية الإسلامية دائماً ، وتحث على الاهتمام بالمظهر الشخصي والناحية الجمالية ، ليكون المسلم جميلاً في مظهره ، متناسقاً في هندامه ، بعيداً عن الدروشة والقذارة والإهمال . قال تعالى: ((يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)) [الأعراف 31] . فالله سبحانه كما جاء في الحديث : "جميل يحب الجمال" . وليس هذا فحسب بل إن في ذلك إشباع لحاسة الجمال في نفس المسلم ، فيتولد في أعماقه إيمان شديد بعظمة الخالق سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه ، والذي صورنا فأحسن صورنا ، وخلقنا في أحسن تقويم .
ومن عناية الإسلام بالمظهر الحسن والهيئة الجميلة أمره للمسلم وحثه إياه للالتزام بسنن الفطرة التي تربي المسلم تربية جمالية تتمثل في :
* الطهارة الحسية الجسدية ، وهي مما يحبه الله سبحانه . قال تعالى : ((واللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ)) [التوبة 108] . ولما روي عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : "تنظفوا فإن الإسلام نظيف" رواه ابن حبان . ويتمثل ذلك في تطهير البدن بالوضوء والغسل فينعكس ذلك بدوره على المظهر الخارجي .
* الطهارة المعنوية التي تغرس في النفوس تطهير الضمير كعبادة وطاعة وامتثال لأوامر الله سبحانه ورسوله - صلى الله عليه وسلم - .
وهذه التربية الجمالية تؤدي بدورها إلى تطهير النية والعمل والسلوك ، فنظافة المظهر مدعاة لنظافة الجوهر ، ونظافة الشكل مدعاة لنظافة الضمير ، ونظافة الفرد مدعاة لنظافة المجتمع . وبذلك يتحقق بعد تربوي إسلامي عظيم متمثل في طهارة المجتمع المسلم طهارة معنوية من الفواحش والمعاصي والذنوب والآثام ، فترتفع النفس المسلمة من رجس الفوضى وأوحال الوحشية إلى نظافة الأخلاق وتهذيب السلوك . ومن ثم يتم تطهير الحياة الاجتماعية عامة حتى تصبح التربية شاملة للنفس والعقل والجسم .
وليس هذا فحسب بل إن في هذه السنن مدعاة لتأليف القلوب ومد جسور المحبة والمودة ، وتوطيد الصلة بين الإنسان المسلم وزوجه ، فتكون حياتهما مبنية على الرحمة والمودة ، وقائمة على السكن والراحة والقبول . وليس أجمل من أن يكون - كلا الزوجين مناسباً للآخر ، وملائماً له ، مقبولاً عنده في شكله وهيئته لأن ذلك مدعاة للائتلاف والرضى ، وسبب مباشر لقناعة كل منهما بالآخر . وهذا بدوره سيؤدي إلى استمرارية سعادتهما الزوجية .

ولقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قدوة تحتذى في هذا الشأن . يقول ابن الجوزي : "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أنظف الناس وأطيب الناس" . وقد قالت الحكماء : من نظف ثوبه قلّ همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله ، ومن طال ظفره قصرت يده . ثم إن المسلم بالتزام سنن الفطرة يقرب من قلوب الخلق ، وتحبه النفوس لنظافته وطيبه . كما أن سنن الفطرة تنمي لدى الإنسان الإحساس بالجمال ، وتنمي طاقاته وملكاته المستشعرة لمعنى الجمال في خلق الله سبحانه .
وأحسب أن قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : "إن الله جميل يحب الجمال" إنما هو دعوة إلى التخلق والتحلي بالجمال الذي هو البهاء والحسن وجمال الصورة وجمال المعنى على حد سواء .

سنن الفطرة والتوازن في شخصية المسلم :

مما لا شك فيه أن الكيان البشري يشتمل على عدة وحدات هي : الجسم ، والعقل ، والروح . ولذلك فإن التربية الإسلامية حرصت على الربط بين هذه الوحدات لتجعل منها كياناً واحداً مترابطاً ، واختطت لذلك منهجاً فريداً في إحاطته بجميع الجوانب الإنسانية ، فجاء هذا المنهج متوازناً مهتماً بالذات الإنسانية في كل حالاتها . ولا ريب فهي تربية للإنسان كله جسمه وعقله ، روحه ووجدانه ، خُلقه وسلوكه ، سرائه وضرائه ، شدته ورخائه ، أي أنها تشمل كل الجوانب الشخصية دون قهر أو كبت أو فوضى أو تسيب أو إفراط أو تفريط.
ولذلك جاءت شخصية الإنسان المسلم متوازنة سوية متكاملة ، لا يطغى فيها جانب أو يهمل على حساب الجانب الآخر . وهذا هو ما نلمسه في هذه السنة هي التي إلى جانب كونها من المظاهر الدنيوية فهي عبادة يثاب عليها المرء ، وتكسبه الأجر والثواب متى قصد بها وجه الله سبحانه والاقتداء بهدي النبوة . وهذا بدوره يربط بين الهدفين الديني والدنيوي للتربية الإسلامية . وبذلك يتحقق التوازن في شخصية الإنسان المسلم حينما نرى أن التزامه بهذه السنة يجعل الجسم يحظى بحق من العناية والرعاية والاهتمام فيما يخص المظهر الخارجي والشكل العام اللائق المقبول . فيدل ذلك على أن الإنسان ينعم بعقل راجح وتفكير سديد ، ومدارك واسعة وفهم عميق لحقائق الأشياء وجوهرها . الأمر الذي يدفعه من ثم إلى السمو الروحي والرفعة الإنسانية والتعالي عن سفاسف الأمور وصغائرها وحطامها المادي الحقير .
كما أن اتباع المسلم لما يسمى بسنن الفطرة يؤدي إلى ما يسمى بالقبول الاجتماعي للفرد . حين يقترب منه الناس ويطمئنون إليه ويعاملونه بكل حب وتقدير واحترام لأنه يفرض ذلك عليهم بحسن مظهره وحسن تدبيره . لذلك كله نقول ونؤكد أن دين الإسلام هو الدين الوحيد القادر على ربط الإنسان بخالقه وإصلاح حاله في كل زمان ومكان حينما يمشي على الأرض بجسم ،

ويتوجه بروحه إلى السماء ليستمد منها أنوار الهداية والمعرفة فيحكم عقله فيها ويختار منها ما يناسب حاله ، ويوافق قدراته ، ويلبي حاجاته ، فتسير حياته وفق منهج مستقيم وهدي قويم .

سنن الفطرة دليل تكريم الله للإنسان المسلم :

لما كان الدين الإسلامي هو المنهج الرباني المتكامل والمناسب للفطرة الإنسانية ، لأنه جاء من عند الخالق -عز وجل- لصياغة شخصية الإنسان صياغة متوازنة متكاملة ، لا ترفعه إلى مقام الألوهية ، ولا تهبط به إلى درك الحيوانية أو البهيمية ، وإنما لتجعل منه خير نموذج على الأرض ؛ فقد خصه -جل وعلا- بتكريم يليق به لكونه جُعل في الأرض خليفة ليعمرها وينشر منهج الله بين ربوعها ويقيم شريعته فيها . ثم لأنه - جلا وعلا - خلقه في أحسن تقويم فكرمه بالصورة الحسنة والمظهر الجميل ، فكانت سنن الفطرة عاملاً مهماً في إبراز هذا الجمال والمحافظة عليه . وليس هذا فحسب بل إن الله كرم الإنسان بأن نفخ فيه من روحه ، قال تعالى : ((إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)) [سورة ص 71-72] . فكان ذلك تكريماً للكائن البشري وتمييزاً له عن سائر المخلوقات ، إضافة إلى ما خصه الله به من نعمة العقل . فكان للجانب العقلي انعكاس على سلوكه وتصرفاته تجعله يحكم ذلك العقل كثيراً ، لا سيما وأن ذلك العقل يعد مناط التكريم الإلهي للإنسان .

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن في هذه الخصال والسنن النبوية نمطاً تربوياً إسلامياً يتناسب مع مسئوليات هذه الخلافة ووظائف تعمير الكون ، إلى جانب كونها تحقق مبدأ التكريم الإلهي للإنسان في هذه الحياة الدنيا . وهو أمر يتميز به الإنسان عن غيره من الكائنات الحية الأخرى لقوله تعالى : ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)) [الإسراء 70] . ففي قص الأظافر مثلاً تمييز للإنسان المسلم عن غيره من الكائنات ذات المخالب من كواسر وقوارض ونحوها . وفي حلق الشعر وقصه ونتفه تمييز للإنسان المسلم عن غيره من المخلوقات ذات الشعور المرسلة ، والمسدلة على أجسادها بلا ترتيب ولا انتظام . وفي السواك والمضمضة تمييز للإنسان المسلم عن غيره من الكائنات التي لا تنظف أفواهها ولا تعتني بنظافة أسنانها.. وهكذا .

وهذا فيه رفع لمستوى الإنسان المسلم وتكريم له على غيره من الكائنات والمخلوقات الأخرى لذا كان على الإنسان المسلم أن يحترم هذه المكانة التي أنزله الله إياها ، وألا يهبط بها عن مستواها الإنساني الرفيع الذي خصه الله به عمن سواه . ومن هنا نرى أن سنن الفطرة دليل على تكريم الخالق سبحانه للإنسان المسلم لأمرين هما :

* إن تكريم الله سبحانه للإنسان نابع في الأصل من كون هذا الإنسان يحمل منهج الله في الأرض ، وأن هذا المنهج يعتمد على مصدرين رئيسيين أحدهما متمثل في اتباع الهدي النبوي والسنة المطهرة .
* أن من السنة الاقتداء برسول الله ، وهذا يحصل للمسلم عن طريق محافظته على سنة الفطرة .

سنن الفطرة والاستقامة الإيمانية :

من المسلمات أن التربية الإسلامية تسعى إلى تحقيق غاية عظمى ، وهدف أسمى يتمثل في استقامة النفس البشرية على نهج الإيمان الواضح الصحيح الذي لا تشوبه شائبة ، وذلك أمر لا يمكن تحقيقه إلا بممارسة شرائع الإسلام واتباع تعاليمه ، والانقياد لأوامره والابتعاد عن نواهيه . فالاستقامة إذاً مرحلة ثانية تأتي بعد الإيمان لأنها أثر من آثاره ونتيجة من نتائجه . قال تعالى : ((ومَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وجْهَهُ لِلَّهِ وهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ حَنِيفاً)) [النساء:125] . وقال - صلى الله عليه وسلم - : "قل : آمنت بالله ، ثم استقم" رواه مسلم . فهذه الاستقامة الإيمانية لا تتحقق إلا بالفقه الشرعي ومعرفة أمور الدين ، والإحاطة بتعاليمه ، ورعاية الأخلاق وتطبيقها في واقع الحياة ليصبح الإنسان المسلم بذلك كله قدوة صالحة وأسوة حسنة. ثم لأنه متى استقام قلب المسلم على معرفة الله سبحانه وعلى خشيته وتقواه في كل لحظة وفي كل صغيرة وكبيرة؛ استقامت جوارحه كلها على الطاعة والامتثال .

وهذا يؤهل من قام به والتزمه ليكون من جملة الرسالة الخالدة الذين قال الله سبحانه فيهم : ((إنَّ الَذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا ولا تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)) [فصلت 30] .

ومن هنا يمكن القول بأن من ثمرات التزام المسلم بسنن الفطرة ما تحققه من ملامح الاستقامة الإيمانية عنده حينما يطبها بشكل مناسب ومقبول يعتمد في المقام الأول على الاعتدال والاتزان والاتباع لهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - دونما إفراط أو تفريط . إضافة إلى تربية المسلم على الاستمرارية والمواصلة والمحافظة على هذه السنن المباركة والخصال الحميدة لما فيها من خير للفرد وصلاح المجتمع .

هويـة الأمـة الإسلاميـة

محمد محمد بدري

لكل أمة من الأمم (ثوابت) تمـثـل الـقـاعـدة الأساسية لبناء الأمة . وفي طليعة هذه الثوابت تأتي (الهوية) باعتبارها المحور الذي تتمركز حوله بقية الثوابت ، والذي يستقطب حوله أفراد الأمة . ولا تستحق أمة من الأمم وصـف

(الأمــة) حتى تكــون لـهـا هـويتها المستقلة والمتميزة عن غيرها من الأمم .
وإذن فالأمة بنيان يتجمع فيه الأفراد حول (هويـة) ثابتة ، تكون هي الصبغة التي تصبغ الأمة ، وتحدد سلوك أفرادها ، وتكيف ردود أفـعالهم تجاه الأحداث ، ولا شك أنه كلما شعر أفراد الأمة بهويتهم ، كلما تعمق انتماؤهم إلـى أمتهم ، وتأكد الولاء بينهم ، وتيسر تعاونهم في سبيل حمل رسالة الأمة والدفاع عنها أمام هجمات الأمم الأخرى .
كما أنه من البديهي أيضاً ، أن الأمة إذا فقدت (هويتها)، فقدت معها استقلالها وتميزها، وفـقـدت بالتالي كل شيء لأنها تصبح بلا محتوى فكري أو رصيد حضاري، فتتفكك أواصر الولاء بين الأفراد، وتنهار شبكة العلاقات الاجتماعية في الأمة، وتموت الأمة،بل وتنبعث مـنها روائح الموت التي تجذب برابرة الأمم كما تجذب جثة الثور الميت صغار الـوحــوش لتنهش لحمه وتقطع أوصاله ، مع أنها كانت في حياته تمتلئ رعباً من منظره !!
وهذا ما يحدث للأمة في ظل فقدان الهوية.. حيث السقوط الحضاري.. وتداعي الأمم . فـإذا أراد أحد إحياء هذه الأمة (الميتة) ، فإنه لا سبيل أمامه إلا أن يكشف عن هوية هذه الأمة ، ويجلي أبعاد خصوصيتها بين الأمم ، ليساعد ذلك في الدفع النفسي والشعوري إلى إحياء مجد الأمة التليد ، والمساهمة الفعالة في السبق الحضاري من جديد .

هوية الأمة الإسلامية

ليس تحديد (الهوية) ترفاً فكرياً ، أو جدلاً فلسفياً بل هو أمر جاد يتعلق - بل يقرر - طبيعة الصراع المصيري للأمة مع أعدائها "إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يحدد موقفه من غيره ، قبل أن يحدد موقفه من نفسه : من هو ؟ ومن يكون ؟ وماذا يريد ؟ وبدون هذا الحسم (للهوية) الذاتية ، لا يمكن تحديد أي موقف فعال من أي قضية من قضايا المصير والتقدم والحياة الكريمة"(1) ولذلك لا بد أن نسأل أنفسنا : من نحن ؟ وما هي هويتنا بالتحديد ؟.. فإذا حددنا هويتنا ، انتقلنا على ضوء ذلك إلى تحديد ماذا نريد ؟.. ومن ثم كيف السبيل ؟ وإذن فتحديد الهوية يعرفنا بأهدافنا التي نريدها ، والأسلوب الذي نتوصل به إلى هذه الأهداف..

فما هي هويتنا ؟

لا شك أن هويتنا الأصيلة هي الإسلام ، وأن "الإسلام (كانتماء) هو القاسم المشترك الوحيد لأمة متكاملة كبرى ، ولا شيء غيره... وإذا ما نحينا الإسلام جانباً ، فمن المستحيل أن نجد قاسماً مشتركاً آخر نتفق عليه وتلتقي عنده الأمة الإسلامية ، فلا الأرض ولا اللغة ولا التاريخ يمكن أن تكون القاسم المشترك لأمتنا ، وذلك لأن الأرض واللغة والتاريخ تعتبر امتداداً للإسلام"(2) الذي هو الهوية الراسخة في نفوس أفراد الأمة ، والتي تهدي رؤيتهم إلى

مختلف القضايا ، وتعطيهم الوعي الصحيح والرؤية الواضحة والزاد الحقيقي في مواجهة أعداء الأمة الإسلامية .
.. وهذه هي عبرة التاريخ ، ودرس الواقع في الأمة الإسلامية ؟!
فأمّا إنها عبرة التاريخ : "فإن العالم الإسلامي كان أمة واحدة تظلله راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.. وكان المسلم يخرج من طنجة حتى ينتهي به المقام في بغداد لا يحمل معه جنسية قومية أو هوية وطنية ، وإنما يحمل شعاراً إسلامياً هو كلمة التوحيد ، فكلما حل أرضاً وجد فيها له أخوة في الإيمان ، وإن كانت الألسنة مختلفة والألوان متباينة لأن الإسلام أذاب كل تلك الفوارق واعتبرها من شعارات الجاهلية"(3) .. ويحكي لنا التاريخ كيف سافر ابن بطوطة من "شاطئ المحيط الأطلسي إلى شاطئ المحيط الهادئ ، ولم يعتبر في قطر مر به أجنبياً ، بل واتته الفرصة حيثما حل لأن يصبح قاضياً أو وزيراً أو سفيراً ، ولم يراقب في حركاته وسكناته ، ولم يسأله أحد عن هويته أو جنسيته أو مهنته أو وطنه"(4) فقد كان أفراد الأمة في تحركهم بين بلد وآخر من بلاد الإسلام لا يحتاجون إلى تأشيرات دخول أو خروج ، لأن الإسلام بلور (هويتهم) الحقيقية ، ومنحهم (الجنسية) الإيمانية ، وزودهم بروح الأخوة والمودة .
لقد كان الفرد من عامة الأمة لا يرى في غير الإسلام سبباً للتجمع ، بل يرى أنه وحده أساس الانتماء ، وأنه وحده رابطة الولاء . ولذلك لم تكن له قابلية للشعور بالغضاضة في أن يعيش على أرضه ، بل ويحكمه (مسلم) من بلد آخر.. فصفة الإسلام تجب ما عداها ، ورابطة الدين تغني عما سواها .
ولذلك رأينا في مصر مثلاً أنه "كانت نظرة المصريين دوماً إلى المماليك - وهم ليسوا أولي جذور مصرية - نظرة المسلمين إلى المسلمين ، الذين قد تكون لهم كحكام مظالم وشرور ، ولكن هذه النظرة ما تعدت ذلك إلى اعتبارهم وافدين على الوطن"(5) .
ومن ناحية أخرى كانت نظرة الفرد من عامة الأمة إلى العالم من حوله ، نظرة إسلامية محددة ، يعتبر الفرد فيها أن الأرض التي يسيطر عليها النظام الإسلامي ، وتحكمها الشريعة الإسلامية هي (دار الإسلام) .. وأن الأرض التي لا يسيطر عليها الإسلام ولا تحكمها الشريعة الإسلامية هي (دار الحرب) .
.. وبقي الدين عنصراً بارزاً في وعي أفراد الأمة ، وبقي الإسلام هو المُشَكّل لهوية الأمة الإسلامية.. فهو الذي يقوم عليه التصور العقدي العام في الأمة ، وإن شابه بهوت في بعض المفاهيم.. وهو الذي ينشط حركة الفرد في محيطه الفردي والجماعي وإن اعترى ذلك فتور في الفعالية..
"وكانت هذه الحقيقة من الوضوح بحيث فرضت نفسها على الفرنسيين وهم يعدون العدة للتعامل مع الشعب المصري ، حتى يمكن القول بأن الباب الذي اعتمده نابليون للدخول إلى المصريين كان باب الدين.. الذي استغله نابليون

منافقاً ، بصورة ساذجة وسطحية . فهذا هو المنشور الذي وجهه نابليون للمصريين وقد افتتح بعبارة تقول : (بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله لا ولد له ، ولا شريك له في ملكه ، ثم يقول : يا أيها المصريون ، قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم ، فذلك كذب صريح لا تصدقوه ، وقولوا للمغتربين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين ، وإنني أكثر من المماليك أعبد الله -سبحانه وتعالى- ، وأحترم نبيه والقرآن الكريم.. ثم يضيف كاذباً : أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجرنلجية وأعيان البلاد ، قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون (وفي النص الفرنسي : محبون للمسلمين المخلصين" !!
ويدل ذلك على أن نابليون حينما أراد أن يقدّم الفرنسيين للشعب المصري ، بالصورة التي يعلم أنها مظنة القبول - عنده ، قدمهم (كمسلمين مخلصين) أو على أقل تقدير (محبين للمسلمين المخلصين)!!
لقد كان المدخل بالقطع ذا علاقة بالإسلام ، الذي ظل - رغم كل ما شاب وجوده الحقيقي من خلل - سمتاً غالباً في المجتمع ، يراه الناس أساس التجمع وسبب الدولة"(6) . ولذلك فإن المصريين حين قاتلوا الحملة الفرنسية ، لم يقاتولها بوصفهم (مصريين) إزاء (فرنسيين) .. وإنما بوصفهم (مسلمين) يقاتلون (الكفار) الذين يحتلون أرضهم والدليل على أنها كانت حرباً جهادية إسلامية ضد (الصليبيين) أن علماء الدين كانوا هم قادتها ، وأن غضب نابليون انصب على الأزهر بوصفه عنصر المقاومة للغزو الصليبي.. وتأتي قمة الدلالة في كون سليمان (الحلبي) الذي قتل كليبر لم يكن (مصرياً) ، إنما كان (مسلماً) دفعه إسلامه إلى قتل قائد الحملة الصليبية الموجهة إلى أرض إسلامية .
وإذا مضينا مع التجربة الإسلامية ، وجدنا المثال الآخر الذي يدل على أن الإسلام (كهوية) للأمة ، كان دائماً يعبئ طاقات الأمة ويوحدها ، ويجعلها أكثر صلابة في مواجهة أعدائها.. وذلك المثال هو ثورة 1919 م في مصر..
لقد قامت الثورة تعبيراً عن غضب الأمة المختزن منذ عهد الاحتلال.. واشترك فيها الشعب كله إلى أقاصي الصعيد.. وكانت الجماهير تستمع إلى خطباء الأزهر الذين يشعلون حماستها ، فتخرج في مظاهرات قوية ضد المستعمر الغاصب...
وكان الإنجليز يدركون أنها ثورة إسلامية ، ويرون في ذلك الخطورة البالغة ، كما عبّر عن ذلك اللورد اللنبي المندوب السامي في مصر بقوله : إن الثورة تنبع من الأزهر ، وهذا أمر له خطورته البالغة.. أفرجوا عن سعد زغلول وأعيدوه إلى القاهرة(7) .
وإذن فقد كانت الثورة في بدايتها(8) ثورة (إسلامية) .. وكانت أحاديث الناس ، وبخاصة في الريف تدور حول ضرورة الثورة ضد (الكفار)

المغتصبين..وضرورة الثورة ضد الذين يفصلون بين الأمة وبين دولة (الخلافة) .. وكان الناس يرون أن (الأزهر) هو الجدير - في حسهم - أن يقود الثورة الإسلامية .

وهكذا في كل مواجهة بين الأمة الإسلامية ، وبين أعدائها ، كان الإسلام هو الحصن الذي فشلت تحت أسواره محاولات القضاء على الأمة على مدار التاريخ.. وكانت (الهوية الإسلامية) هي الحافز الرئيسي الذي دعم جهاد الأمة ضد أعدائها ، سواء في الحروب الصليبية ، أو غزو التتار ، أو حروب الفرنجة ، أو غيرها.. حيث كانت الأمة تندفع بهويتها الإسلامية لتقدم قدراتها القوية ، فسرعان ما تنهزم قوى الباطل ويعود المسلمون إلى امتلاك إرادتهم ، وبناء أمتهم ، ونشر كلمة الله في العالمين.. هذه هي عبرة التاريخ..

وأما درس الواقع.. فقد "أثبت لنا تاريخ صراع الأفكار والمذاهب في القرن الأخير في المجتمعات الإسلامية أن الأمة الإسلامية رفضت محاولات إسقاطها النهائي أمام الأمم الأخرى وحضاراتها،... وأنها لا تزال تحتفظ بجوانب من القوة في مقوماتها الإسلامية وخصائصها الذاتية المستغلة ، على الرغم من غزو الحضارة الغربية لقيمها وحياتها وسلوك أفرادها"(9) ، ولا تزال ترى أن الإسلام هو المنهج الذي يمثل خصائصها ، ويحدد هويتها ، ويرسم الطريق الأمثل والوحيد إلى أهدافها الحضارية..

وليس أدل على ذلك من هذه الصحوة الإسلامية ، وتلك الجحافل الساجدة لله . بالفكر والسلوك.. الساعية إلى إخراج الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة وقيادة البشرية .

إن الإسلام وحده هو (هوية الأمة الإسلامية) وهو عصب حركتها ومحور اجتماعها ، وهو القوى الدافعة التي تفجر طاقات الأمة وتقوي وقفتها في مواجهة أعدائها . ويوم أن كان الإسلام هو هوية هذه الأمة ، كان المسلمون هم سادة الأرض بحق وصدق وعدل.. وبغيره ستظل الأمة تلهث وراء المظاهر الحضارية تحسبها التقدم ، وهي القشور والخداع .

وبكلمة : لقد بلور الإسلام (هوية الأمة الإسلامية) ، ومنح أفرادها (الجنسية) الإيمانية ، فاجتمعوا حول الإسلام وربط بينهم حبل الله كارتباط الجسد الواحد.. ولم يستطع الغزو العسكري أو الفكري أن يحكم الأمة الإسلامية بغير الإسلام إلا في ظل سياسة العصا الغليظة ، والاستبداد السياسي ، والظلم الاجتماعي ، والأنظمة الجبرية.. حيث تلغى إنسانية الإنسان ، وتطارد حريته ، وتصادر هويته!!

... واليوم يبقى الإسلام هو (وحده) المنهج الذي يمثل خصائص الأمة ومنطلقاتها الاعتقادية وأهدافها الحضارية.. ذلك أنه هو (هوية الأمة الإسلامية) .

الهوامش :

1- ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر - ص 139 .

2- فقه الدعوة - ملامح وآفاق : عمر عبيد حسنة ص 72 .
3- الولاء والبراء - محمد سعيد القحطاني ص 415 .
4- الإسلام والمدنية الحديثة - أبو الأعلى المودوي ص 44 .
5- تطور الفكر السياسي في مصر - عبد الجواد ياسين ص 45 .
6- تطور الفكر السياسي في مصر - عبد الجواد ياسين ص 46-47 .
7- مستفاد من كتاب واقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب .
8- قبل أن يحولها سعد ورفاته من ثورة إسلامية إلى ثورة وطنية لاعلاقة لها بالدين .
9- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري - د. محسن عبد الحميد ص 41 .

منهج الطبري في تاريخه

د. محمد آمحزون

بدأ الإمام الطبري حياته العلمـية بدراسة الحديث ، فكان حرياً أن يتأثر بمنهج المحدثين في جمع الرواية التاريخية والاهتمام بسندها، فـكـان يجمـع مـأثــور الروايات ويدونها مع إسنادها إلى مصدرها مثل : شيخ تتلمذ عليه ، أو عدل شارك فـي الحادثة أو كان له علم بها ، أو كتاب تدارسه بالسند المتصل قراءة وسماعاً وإجازة . فكان في الغالب يلتزم وجهة المحدثين في الاهتمام الذي ينصب على الإسناد حيث يثبته في معظم الأحيان في الروايات.

يقـول في هذا الشأن في مقدمة تاريخه : "وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضـرت ذكــره فيه ، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلـى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس.. إلا القليل اليسير منه"(1) .

وهكذا أكد الإمام الطبري حرصه على إسناد كل خبر إلى قائله وأنه سوف لن يسمح لحجج العقول وفكر النفــوس أن تتدخل فـي التفسير والاستنباط ، في الكتابة والتدوين أثناء جمع المادة ، وما ذاك إلا حرصاً منه على جمع ما قيل كله أو جله من وجهات نظر متعددة إن كانت ، وبعد ذلك محصل الموازنة والمقارنة ، والاستنباط والقبول والرد لمن يريد .

ولما كان تاريخ صدر الإسلام - خـصـوصــاً فترة الفتنة - أكثر حساسية من غيره ، إذ فيه روايات أملتها عاطفة الرواة أو الاتجاهات الـسـيـاسية أو اختلاف وجهات النظر والفهم ، ونظراً لأن الروايات تتأثر بعوامل مختلفة كالنـسـيـان والـمـيـول والنزعات فيصعب الجزم بدقتها وسلامتها ، فإن هذا مما يجعل إبداء الرأي فيها أو إصدار حكم بشأنها يبدو معقداً للغاية .

ولهذا قام الإمام الطبري -رحمه الله - وهو يعرض وجهات النظر المختلفة لرواته ومصادره باتباع طريقة جمع الأصول وتدوينها على صورة روايات ،

المسؤول عنها رجال السند أي الرواة الإخباريون . وقد برهن على ذلك في قوله :
"فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما ينكره قارئه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا ، وأنا إنما أدينا ذلك عن نحو ما أدي إلينا" (1/8) .
ومن منهجه أيضاً الحياد ، فهو يعرض مختلف وجهات النظر دون تحزب أو تعصب ، وإن كان له رأي خاص فيظهر أحياناً في اختياره للروايات وإيراد بعضها وترك البعض الآخر ، متجنباً إعطاء حكم قاطع في القضايا التي يتعرض لها ، حتى أنه لا يفضل رواية على أخرى إلا نادراً .
وقد أدى به التزام هذا المنهج إلى الحرص على إيراد الروايات المختلفة للحادث أو الخبر الواحد ، وعند المقابلة بين الروايات يستعمل تعبير: "واختلف في كذا" ثم يعقبه باستعراض الروايات المختلفة لرواته كقوله : فقال بعضهم.. وقال بعضهم.. وقال هشام بن الكلبي.. ، وكقوله : وذكر عن فلان أنه قال.. وحدثنا فلان.. وقال آخرون.. وقال بعضهم.. (4/174)
إلا أن النقد والمقابلة يظهر جلياً في عدد من الأخبار التي ترد في نهاية الحوليات كالوفيات والصوائف وتعيين ولاة الأقاليم وأمراء الحج ، ومثال ذلك في قوله : "وفي سنة كذا توفي أبو العباس يوم.. بالجدري . وقال هشام بن محمد الكلبي - توفي يوم.. واختلف في مبلغ سنه يوم وفاته . قال بعضهم.. وقال بعضهم.. وقال الواقدي.. (4/470) ، وقوله : "وغزا الصائفة في سنة كذا فلان ، وقال الواقدي أن الذي غزا الصائفة في هذه السنة فلان"(8/241) .
وهكذا إذا كان للحادث روايات مختلفة اعتقد الإمام الطبري بوجوب ذكرها لتكتمل الرؤية عنه . لكن مع اجتهاده في تدوين كل ما يمكن تدوينه من الروايات والأقوال من الخبر الواحد ، فإذا وصل إلى موضوع مطول مختلف فيه قطعه ليذكر مواضع الاختلاف مشيراً إليها(4/ 466،468،469) . فإذا ما انتهى منها عاد إلى المتن - أي إلى الموضع الذي وقف عنه - فيمهد للكلام بإشارة تدل على استئنافه كأن يقول : "رجع الحديث إلى حديث فلان.."(4/470) .
وما يلاحظ أن هذه الطريقة تربك القارئ ، فتنسيه الحادث الأصلي ، إذ تشكل عقبة أمامية أمام الوحدة الموضوعية للحادثة التاريخية ، وربما كان الأفضل عرض كل رواية عرضاً متكاملاً من أولها إلى آخرها ، الواحدة تلو الأخرى ، وبهذا العرض الكامل تتكون لدى القارئ فكرة واضحة عن الموضوع وعن الأوجه المختلفة فيه ، فيستطيع أن يوازن بين جميع الآراء، ويرجع بعضها على بعض، فتتكون بذلك لديه نظرة إيجابية عن الموضوع.

وقد راعى الإمام الطبري في ترتيب تاريخه تسلسل الحوادث ، فرتبها على حسب وقوعها عاماً بعد عام منذ الهجرة إلى نهاية عام 202 هـ (914 م) . فذكر في كل سنة ما وقع فيها من الأحداث التي رأى أنها تستحق الذكر .
ويختلف حجم الحوليات لديه حسب كثرة وقوع الحوادث فيها أو قلتها وأهميتها وبلوغ أخبارها إليه ، فيطيل ويقصر وفق ذلك ، فبعض الحوليات لا تعدو أسطراً (سنة25) ، وبعضها صفحة أو صفحتان (سنة 29،48،0 7) ، والبعض الآخر يزيد طوله على مائة صفحة (سنة35،36) ، وإذا كانت - الحادثة طويلة فيجزئها حسب السنين التي تستغرقها .
أما طريقته في سرد أحداث كل حولية فليست على نسق واحد ، فتارة يذكر الحادث التاريخي ثم يبدأ في ذكر تفصيله والروايات فيه (4/442) ، وتارة يذكر جملة الأحداث التي كانت هذه الحولية ثم يعود إلى تفصيل بعضها (4/317) ، وتارة ثالثة تقتصر الحولية على جملة من الأحداث في بضعة أسطر (4/250) ، وفي ختام الحولية يذكر بعض من توفي في تلك السنة من المشهورين ، لكن هذا ليس مضطرداً ، أما الذي لا يكاد يتركه غالباً في ختام كل حولية فذكر أسماء عمال الأقاليم أو أمراء الحج أو هما معاً في تلك السنة ، وفي الحوليات التي أعقبت حركة الفتوح يحرص على ذكر أخبار المرابطين على الثغور للجهاد ، كما يسمي الصوائف والشواتي ، والحصون والمدن التي استولى عليها المسلمون.
وبالنسبة للأخبار التي لا ترتبط بزمن معين كالسير مثلاً ، فقد كان يختم بها الحديث عن كل خليفة عند وفاته ، فبعد أن يذكر الأحداث في عهده مرتبة على السنين يختمها باستعراض سيرته دون التقيد بعامل الزمن.
وما يذكر أن الإمام الطبري لم يتقيد بطريقة الحوليات في كل كتابه ، وإنما اتبعها في الحوادث الخاصة بتاريخ الإسلام .
أما في القسم الرابع - أي منذ الخليقة إلى الهجرة - فقد اتبع منهجاً آخراً في عرض الحوادث فلم يرتبها على حسب وقوعها عاماً بعد عام ، إذ كان ذلك متعذراً ، ولكن سار على النهج الذي سلكه أكثر المؤرخين القدماء بالبدء بالخليقة ثم بالأنبياء ثم التعرض للحوادث التي وقعت في أيامهم ، وذكر الملوك الذين كانوا يعاصرونهم وأخبارهم ، وكذلك الأمم المعاصرة لهم والتي جاءت بعدهم إلى ظهور الإسلام وبعثه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - .
ويكثر الإمام الطبري في تاريخه من تسجيل النصوص التاريخية من رسائل وخطب ومحاورات ولا سيما الشعر رغبة في توثيق الحوادث أو التشويق إليها . كما أنه حاول ضبط النصوص التي يرويها دون تبديل أو تغيير إلى درجة أنه كثيراً ما تبقى الكلمات والألفاظ غير العربية كما هي (2/51،54،62) .
أما منهجه في إثبات المصادر ، فإنه إذا ما نقل من كتاب ما فإنه قلما يذكر عنوانيهن ، وإنما يذكر اسم مؤلفه كقوله مثلاً : "قال الواقدي" أو "قال أبو

مخنف.." وإذا سمع من أحد مشافهة قال : "حدثني فلان.." فإذا اشترك مع راوي محدثه في السماع آخر أو آخرون قال : "حدثني فلان قال.. حدثنا فلان وفلان.. ثم سلسل السند إلى مصدره الأصلي" .
وكان يعتمد أحياناً على المراسلات فيقول : كتب إلى السري عن شعيب عن سيف" (4/262) وقد حرص في الغالب على السند المتصل إلا في بعض المواقع كقوله : "وقد قيل" أو "ذكر عن فلان" (5/172) .
وكان يضع العناوين لأحداثه وخاصة المهمة منها في بداية كلامه عن بدء كل سنة تحت عنوان عام مثل قوله : "ثم دخلت خمس وثلاثين ، ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة" أو "ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها" أما الأحداث الصغيرة التي لا تتجاوز بضعة أسطر ، فإنه يذكرها متعاقبة تحت عنوان : ثم دخلت سنة كذا ، وذكر الأحداث التي كانت فيها .
أما فيما يتعلق بعدالة الرواة ، فإذا كان الإمام الطبري لا يتقد بالقيود التي تمسك بها أهل الحديث بالنسبة إلى الرواة الضعفاء ، فأدخل في تاريخه أقوال الكلبي وابنه هشام والواقدي وسيف بن عمر وأبي مخنف وغيرهم من الضعفاء المتهمين بالكذب والوضع في الحديث ، فإن ذلك يرجع إلى اتباعه منهجاً معلوماً عند علماء الحديث وغيرهم حيث يذكرون ما يبلغهم ويسوقون سنده ، فالصحيح يؤخذ وغير الصحيح يعرف ويرد وفق ضوابط الشرع وقواعد الرواية..
وهكذا لم يكن الإمام الطبري بذلك العمل مغفلاً أو جاهلاً عندما يورد مئات الروايات عن الضعفاء والمتروكين ، لكنه يتبع منهجاً مرسوماً عند علماء الجرح والتعديل لا يلزم من إيراد أخبار المتروكين والضعفاء وتدوينها في كتاب من الكتب للاحتجاج بها كقولهم : "يروي حديثه ولا يحتج به" و "يذكر حديثه للاعتبار" ، و "يكتب حديثه للمعرفة" ، "ولا يجوز الرواية عنه إلا للخواص عند الاعتبار"(2) .
وفي هذا الصدد قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الطبراني بأن الحفاظ الأقدمين يعتمدون في روايتهم الأحاديث الموضوعة مع سكوتهم عنها على ذكرهم الأسانيد ، لاعتقادهم أنهم متى أوردوا الحديث بإسناده فقد برئوا من عهدته ، وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده.(3)
ولكون الإمام الطبري من علماء الحديث فقد سار على هذا النهج في تاريخه ، فهو ليس صاحب الأخبار التي يوردها بل لها أصحاب آخرون أبرأ هو ذمته بتسميتهم ، وهؤلاء متفاوتون في الأقدار ، وأخبارهم ليست سواء في قيمتها العلمية ، ففيها الصحيح والضعيف الموضوع ، تبعاً لصدق الرواة أو كذبهم ومنزلتهم من الأمانة والعدالة والتثبيت ، ولذلك ينبغي دراسة أسانيد ومتون الروايات وفق المقاييس المعتبرة عند العلماء للوقوف على مدى صحتها من عدمه .

وبناء على ذلك لا يكفي في المنهج العلمي السليم الإحالة على تاريخ الإمام الطبري أو غيره من الكتب المسندة دون دراسة سند الرواية ومتنها ، لأن من أسند فقد برىء من العهدة .
ومما يلاحظ أيضاً أن الطبري لم يرد الاقتصار على المصادر الموثوقة ، بل أراد أن يطلع قارئه على مختلف وجهات النظر ، فأخذ من مصادر أخرى قد لا يثق هو بأكثرها إلا أنها تفيد عند معارضتها بالأخبار القوية ؛ فقد تكمل بعض ما فيها من نقص ، أو تقوى الخبر باشتراكها مع المصادر الصحيحة في أصل الحادثة .
إن مثل الإمام الطبري ومن على شاكلته من العلماء الثقات الأثبات في إيرادهم الأخبار الضعيفة كمثل رجال القضاء إذا أرادوا أن يبحثوا في قضية ، فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه اعتماداً منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره .
ولهذا فقد كان لا يفرط في خبر مهما علم من ضعف ناقله خشية أن يفوته بإهماله شيء من العلم أو الفائدة ولو من بعض النواحي ، إلا أنه يسند كل خبر إلى رواية ليقف القارئ على قوة الخبر أو ضعفه من كون رواته ثقاة أو مجروحين ، وبذلك يرى أنه أدى ما عليه ، خصوصاً وقد وضع بين أيدي القارئ كل ما وصل إلى يده من نصوص وطرق مختلفة للخبر. ومن فوائد إيراد الخبر الواحد من طرق شتى وإن كانت ضعيفة ما قاله ابن تيمية:
"إن تعدد الطرق مع عدم الاتفاق في العادة يوجب العلم بمضمون المنقول - أي بالقدر المشترك في أصل الخبر - لكن هذا لا ينتفع به كثيراً في علم أحوال الناقلين - أي نزعاتهم والجهة التي يحتمل أن يتعصب لها بعضهم - وفي مثل هذا ينتفع برواية المجهول والسيء الحفظ.. ونحو ذلك ولهذا كان أهل العلم يكتبون مثل هذا ويقولون أنه يصلح للشواهد والاعتبار ، وما لا يصلح لغيره ، وقال أحمد : قد أكتب حديث الرجل لأعتبره"(4).
وتحسن الإشارة إلى أن اتساع صدور أئمة السنة من أمثال الإمام الطبري لإيراد أخبار المخالفين من الشيعة وغيرهم دليل على فهمهم وأمانتهم ورغبتهم في تمكين قرائهم من أن يطلعوا على كل ما في الأمر ، واثقين من أن القارئ اللبيب المطلع لا يفوته بأن العلم مثل أبي مخنف وابن الكلبي وغيرهم هم موضع تهمة فيما يتصل بالقضايا التي يتعصبون لها ، مما ينبغي معه التحري والتثبت لاستخلاص الحقائق المختلطة بالإشاعات والمفتريات .
أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم أو لجهلهم بمنهج الإمام الطبري ولا يتعرفون إلى رواتها ويكتفون بالإشارة في الحاشية إلى أن الطبري روى في صفحة كذا من جزء كذا.. ويظنون أن مهمتهم انتهت بذلك ، فهؤلاء قد يظلمون الإمام الطبري بذلك ويسيؤون إليه ، وهو لا ذنب له بعد أن بين لقرائه مصادره ، وعليهم معرفة نزعات وأحوال أصحاب هذه المصادر ليعرفوا للأخبار أقدارها بوقوفهم على أقدار أصحابها .

وهذا المنهج لا يمكن استعماله إلا عن طريق الإلمام بعلم الجرح والتعديل الذي يهتم بفحص أحوال الرواة ويبين شروط الانتفاع بأخبارهم ، كما ينبغي أيضاً مراعاة المقاييس التي وضعها العلماء في نقد متون الأخبار ، وخصوصاً وضع الملامح العامة للمجتمع الإسلامي وطبيعته في الحسبان ، ويعتبر ذلك كله من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامي (5) .

الهوامش :

1- تاريخ الطبري 1/7-8 .
2- الذهبي في الميزان 3/173
3- لسان الميزان 3/75 .
4- الفتاوى 13/253
5- ولهذا فإن تدريس مصطلح الحديث كمادة أساسية في أقسام التاريخ في جامعاتنا يعتبر أمراً ملحاً .

يـا تائهـون على الـدروب

د. عبد الرحمن بارود

غـربــاء ، لـكــنْ ربُّـنــا اللــهُ ... اللـــه ! نِعْـمَ الـنـاصـــرُ اللهُ
ما يَنْقِمُ الحجرُ الضَّريرُ مِنَ الــ .. قَمَــرِ المنيرِ ؟ وفيمَ عــاداه؟
عَلَتِ المنازلُ يا بــُدورُ عـلـــى ... مَنْ لَمْ تَـزَلْ في الوحْلِ رِجـْـلاهُ
والنهرُ يَضْحَكُ لـلرودِ وفي الصـَّ ... خْرِ الأصـَـــمِّ يَـشـُـقُّ مَجْـراهُ
مـُلِـئَـتْ خَفافيشُ الدُّجى هَلَعاً ... وضـفـــــادعُ الـسَّـبـئـيِّ إيـــاهُ
جـُنَّ الـيــهـودُ وقد رأوا عُمراً ... قَــدْ عـادَ حـَرْبَـتـــــُهُ بـيُمْـنـاهُ
هذا الزمانُ زُمـانـُـنـا...قَـــدَراً ... وإذا الـظـَّلام أبى حَرَقْـنَـــاهُ(1)
يا للشـهـيـد! كـأئـــَّهُ مـلَـكٌ ... دُنيـــاهُ شـامخـــةٌ وأخـــراهُ
للـــه درُّ أبـيـــهِ مـن بـَطــَلٍ ... كالـــكـوكــب الـدُّرِّيِّ تـلْـقـاه
مـِسْكُ الجـنــانِ يفوحُ مِنْ دَمِهِ ... والـبـــدرُ يـسطــعُ مِنْ مُحَيَّاهُ
فـي الأرض نـَدْفِنُهُ وفي قمـمِ الـ ... فــــردوس عـنـــدَ اللهِ مَحْـياهُ
لــيـلاهُ حـــوْرَاءُ الـجـنانِ إذا ... كـــلُّ امــــــْرىءٍ شَغَفَتْهُ ليلاهُ
هـــذا الشهيد... ألسْتَ تعْرِفُه؟ ... ألـعِـــــزُّ بـيـــن يديهِ والجاهُ
الأرضُ في عـيـنـيـه خـَرْدَلـــةٌ ... وعلـــى عـبـيـــدِ الأرض نعلاهُ
سَقْـيـــاً لأوَّلِـنـــا وآخـرِنـــا ... ولـمـنْ بـظـَهـــْـرِ الـغـيْب نَهْواهُ
سَقْـيـاً لــوَحْـدتنا وفطرتِنا الـ ... بـيـضـــاءِ والـصـفـحـاتُ أشباهُ
إذْ كـالمجـــــــرَّة نحنُ تَقْدُمُـنا ... أقـمـــارُ مـكـــةَ صـانـهــــا اللهُ
كـنـــا الحَيـَـا مـا حَـلَّ في بَلَدٍ ... إلا بـــإذنِ اللــــــهِ أحـيـــاهُ
كـمْ مـــزَّقَ الـنـّيـْرُ الرقاب فَلَم ... تَـكُ سـاعـــةٌ حتى سَحَـقْـنـاهُ
وكــلامُ ربـعـــيٍّ؛ أتَـذْكُـــرُه؟ ... طــيِّـــبٌ تـمـنّى الطـِّيـبُ رَيَّـاهُ

المسلمون والعالم

البيان الصادر عن ندوة علماء الأزهر

((هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ ولِيُنذَرُوا بِهِ))

تغشى العالم الإسلامي في هذه الأيـام غاشية من التراجع والانكسار ، وهو انكسار لم يشهد مثله على مدى تاريخه كله ، اللهم إلا ما جرى أيام المغول والصليبيين! فقد تداعت عليه الأمم ، واصطلح على عداوته العالم أجمع ، وبات يئن تحت مطارق خصومه العاتية التي تنهال من كل ناحية، لا تنقضي منها واحدة حتى تبادر الأخرى في تتابع محموم لا يهدأ له أوار!!

ومبعث الخطورة في هـذا الانكسار أنه يأتي وقد اخترق العقل الإسلامي واخترقت الثقافة الإسلامية ، ونبتت نابتة على أرضـنـا أشربت في قلوبهم مفاهيم الغرب عن الدين والدولة وعلاقة الدين بالحياة ، ونزع القداسة عـن كل ما اتصل من الدين بشئون الدولة ، وإطلاق العنان للأهواء البشرية بلا قيود ولا حدود، وباتت هـذه الـشـرذمة تحمل من الولاء لهذه المفاهيم أضعاف ما تحمله لدينها وتراثها وتاريخها كله ! رغم أنهم مـن جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ! فحرث هؤلاء الأرض أمام كل ما دبر لهذه الأمة في الظلام !

ولقد كان عهدنا لهذه الشرذمة هو التخفى والالتفاف والمناورة لما يعلمون من خروج دعوتهم عـلـى مـحكمات الكتاب والسنة التي لا تزال موضوع تقديس مـن الـكـافـة، إلا أنهـم قـد تجاوزوا ذلك مؤخراً ، وأخذوا يستعلنون بهذه الزندقة ، فراحوا يجلبون بخيلهم ورَجِلِهم على مـرتكـزات الـشـريـعـة الإسلامية، ويطعنون في مرجعيتها وصلاحيتها للتطبيق، كمـا تواصوا بذلك في أحد محافلهم المشبوهة التي قرروا فيها - فيما قرروا - استعمال ما سموه الحل الهجومي الإيجابي ، والتكتل في جبهة موحدة لمواجهة العمل الإسلامي المعاصر في جرأة لا يحسدون عليها !! ضاربين عرض الحائط بحقائق الكتاب والسنة وما استقر تقديسه في ضمير هذه الأمة!!

لـقـد وجـدنا منهم من يعلن بملء فيه رفضه المطلق لتطبيق الشريعة ، وتبنيه للفصل المطلق بين الدين والـسـياسة ، واستعداءه السافر على حملة الشريعة بل وعلى الشعائر الإسلامية في ذاتـهـا، حتى أصـبـح يـرى في إذاعة الأذان في التلفزيون أو إيراد حديث نبوي بعده اختراقاً للإعلام وخطراً على مدنية الدولة ، وتراجعاً أمام المتطرفين ! ويرى في شرح بعض الآيات القرآنية التي تناقش عـقـيـدة التثليث قنبلة زمنية موقوتة ، وخطراً داهماً يتهدد الوحدة الوطنية!

بل رأيناه يسود المقالات في الاستعداء على دولة إسلامية مجاورة بسبب توجهها الإسلامي في الوقت الذي يعلن فيه في بعض هذه المقالات أن مـلـــف الصراع الحضاري مع إسرائيل بصدد أن يغلق ، وإن نزاعنا معها في سبيله إلى الانـتـهــاء ، بحيث يمكن اعتبار جبهتها جبهة آمنة ! ويدعو إلى التفرغ لمواجهة السودان والجزائر وإيران !
لقد رأيناهم يغتالون التاريخ الإسلامي كله فلا يرون فـيـه إلا سلسلة من المجون والمظالم!! بل لم يسلم من سهامهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنـصـار ، فرأيناهم يرون في أبي بكر الصديق مغتصباً لحقوق النبي - صلى الله عليه وسلم - !! مستحلاً لقتال المسلمين بما خاضه من حروب الردة !! وينتصرون لإخوانهم المرتدين!! ناقلين في ذلك أحاديث الإفك من المستشرقين ، ضاربين عرض الحائط بحقائق الكتاب والسنة وإجماع المسلمين .
بل رأينا منهم من يحاول الاقتراب من شخص النبي في غمزات وطعنات فاجرة يدسونها في ثنايا ما يقدمونه من دوريات وأدبيات ، وإن كان النضج السياسي يقتضي - في تقديرهم - تأخير الإعلان بهذه المرحلة إلى حين! ولكنهم يدعمون وينصرون كل من استباح هذا الحرم الأقدس !! واجترأ على الإعلان بذلك - كما رأيناهم مؤخراً وقد جاؤوا يركضون يتكتلون لنـصــرة صـاحــــب رواية "مسافة في عقل رجل" بدعمهم وأموالهم وأقلامهم في مظاهرة لا تخطئها العين !!
إننا من جانبنا نعلن - إبراء الذمة - أن مثل هذا التصرف العلماني ثورة على دين الأمة !! وعدوان سافر على مرجعيتها المقدسة كتاباً وسنة !! كما أنه إساءة بالغة إلى وجه مصر الإسلامي ، وإلى علاقتها ببقية بلاد العالم الإسلامي التي ما فتئت تنظر إلى مصر الأزهر باعتبارها قلعة الإسلام ، بل وإلى حكام هذه البلاد الذين ما فتئوا يعلنون أنهم مسلمون وأن دين الدولة الرسمي هو الإسلام !
كما أنه من ناحية أخرى يولد تطرفاً مقابلاً نشهده في حوادث العنف التي تتابعت على مسرح الحياة المصرية في الآونة الأخيرة . وإننا بقدر ما نعلن إدانتنا للتطرف الذي ينسب إلى الدين ، وإنكارنا على ما يقع في هذا الجانب من أحداث دامية ، فإننا ندين وبنفس القدر هذا الغلو في معاداة الإسلام ، ورفض شريعته ، وتزييف تاريخه ، وتشويه رموزه وأعلامه .
إن مصر هي سفينتنا جميعاً ، وإن مثلنا ومثل هؤلاء كمثل قوم استهموا في سفينة ، فأصاب فريق منهم أعلاها وأصاب آخرون أسفلها ، فإذا الذين في أسفلها يحاولون أن يخرقـــوا في نصيبهم خرقاً ليستقوا منه الماء، فلو تركوا وما يريدون لغرقت السفينة بمن فيها أجمعين!!

إن هذا الذي تشهده الساحة المعاصرة من استطالة دعاة العلمانية واستماتتهم في عزل هداية الإسلام عن مسيرة هذه الأمة ، والزج بها في مجاهل الأرض وخوادع السبل يعد خيــانــة عـظـمى لهذه الأمة وللحقيقة المجردة!! وإن التمكين لذلك يعد إعانة على هذه الخيانة، ومسلكاً عدائياً لا تصلح به دنيا ولا يبقى معه دين!
إن حقائق الوحي وحقائق التاريخ لتؤكد بأن السبيل لهذه الأمة إلى الخروج من هذا الـتـيه الــذي نـتـجـرع مرارته ونكتوي بنيرانه إنما يبدأ بإصلاح ما اندرس من علاقتها بربــها، وتجديد ما اندرس من شعائر دينها وشرائعه ، ثم ببذل الأسباب المادية بأقصى ما وسعها الجهد لتتكفل يد القدرة بعد ذلك بما عجزت عنه وقصرت دونه إمكاناتها المتاحة !
ولكننا - على النقيض من ذلك - لا نرى من دعاة العلمانية إلا إمعاناً في الشرود عن منهج الله -عز وجل- ، ومزيداً من التحريف والتزييف لحقائق الشرع وحقائق التاريخ ، الأمر الذي ينذر بشقاء المستقبل أكثر من شقاء الماضي إن لم نبادر بتوبة صادقة نصوح !!
إن ثوابت هذه الأمة ومحكمات هذه الملة قد أصبحت عرضاً مباحاً لهؤلاء يتخوضون فيه طعناً وتسفيهاً وتشويهاً وتزييفاً بلا حريجة دينية أو خلقية !!
إننا نعلن براءتنا إلى الله -عز وجل- من كل دعوة تخاصم شريعة الله تعالى ، وتجاهر أحكامها بالعداء ، ونعلن أن مثل هذه الدعوات امتداد للوجود الاستعماري في بلادنا ! وأنها لا تجتمع مع أصل الإسلام بحال من الأحوال !!
كـمـا نــدعــو الصـحـف المصرية جميعها: القومية(1) منها والمعارضة أن لا تسود أعمدتها بــإشــاعـة أحاديث الإفك التي يتداولها هؤلاء، فإن أبت إلا أن تفعل فلا أقل من أن تتيح لحملة الشريعة ودعاة الإسلام من المساحة ما يكفي لدفع التهمة بالحجة ، ومقارعة الكلمة بالكلمة إحــقــاقــاً للحق ، وإبطالاً للباطل ، واتقاء لسخط الله -عز وجل- ، فإن هذا هو أدنى ما يمكن قبوله منها باعتبارها تصدر في بلاد لا تزال تنتسب إلى الإسلام .
وقد آلينا على أنفسنا - نحن الموقعين على هذا البيان - أن نقوم بواجبنا تجاه ديننا وأمتنا وأن نصدع بكلمة الحق لا نخاف في الله لومة لائم ، كما اتفقنا فيما بيننا على الـتــصــدي لكل ما يثار حول الإسلام من شبهات ومفتريات من خلال الحوارات والمناظرات العلمــيـة الجادة لكل من يرغب في الحوار والمناظرة ، لتكون نوعاً من استفاضة البلاغ وإقامة الحجة على الكافة ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحى من حي عن بينة ، مسترشدين بقول المولى سبحانه : ((ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [النحل 125] .

كما ندعو الأمة جميعاً إلى أن تكون على بينة من أمر هؤلاء الذين يحرثون الطريق أمـــــام أعدائها في الدنيا ، ويجرونها بدعوتهم إلى جحيم الخلد وشقاء الأبد في الآخرة !
((فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وأُفَوِّضُ أَمْرِي إلَى اللَّهِ إنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)) [غافر 44] .

هذا بلاغ لكم والبعث موعدنا وعند ذي العرش يدري الناس ما الخبر

والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

ا.د./ عبد الغفار عزيز رئيس ندوة العلماء
ا.د / محمود حماية الأمين العام للندوة
ا.د./ حلمي صابر عضو الندوة
ا.د / محمد البري عضو الندوة

1- القومية هنا معناها : الحكومة ، وهو اصطلاح خاص بمصر .

المأساة الصومالية
مذكــرات شاهــد عيــان

أحمد بن عبد الرحمن الصويان - كينيا

يمر الشعب الصومالي بمأساة كـبـيـرة واسـعـة النطاق ، حـيث تستمر الهجرة الجماعية منذ أشهر عديدة هرباً من رحى الحرب القبلية الـتـي تـدور عـلـى أرض الصومال ، ويقدر عدد اللاجئين الصوماليين في الأراضي الكينية بحوالي أربعمائة ألــف نـسـمة ، وفي الإحصاءات الرسمية الكينية الصادرة في شهر يونيه من عام 1992 م بلغ عدد اللاجـئـيـن يـومـياً 550 شخص .
وقد قـمـت بتيسير الله بزيارة إلى مواقع اللاجئين في مواقع عديدة من المدن الكينية، مـثـل منديرا، وعيلواق، وبانيسا، وإيفو، وليبوي . كما زرت أيضاً في الأراضي الأثيوبية مخيمي صوفتو ودولو ، وزرت داخل الأراضي الصــومـالية مدينة حواء ، فرأيت في هذه المخيمات ما يجل عن الوصف ، ويعجز القلم عن ذكره . عشرات من الأطفال يتساقطون يومياً بسبب الجوع وسوء التغذية، عشرات من الـنسـاء والـعـجـزة أهلكهم المرض والحزن... فكل أسرة تحمل مأساة تنهد لها الجبال ، وإذا فاتحت أحد اللاجـئـيـن عـن حـالـه سرد لك حكاية طويلة من الأسى والعنت . فهذا أحدهم يحدثني عن أسرته بأنها كانت قبل شهرين عشرة أفراد ، وأما اليوم لم يصبحوا إلا أربعة . وطفل آخر لم يبلغ العاشرة من عمره رأيته ملقى على الأرض ينتظر منيته ، وحدثوني أنه حافظ لجزئي عم وتبارك ولم يبق من أسرته أحد سواه.. ومآسٍ كثيرة وكثيرة يطول ذكرها ويصعب حصرها .

وفي مدينة منديرا مات في يوم واحد أثناء وجودنا فيها أكثر من ثلاثين طفلاً بسبب الجوع والمرض ، ورأينا عدداً غير قليل من الأطفال والنساء في حالة الاحتضار ، ومن المحزن أن 80% تقريباً من النساء الحوامل يمتن أثناء الولادة لعدم وجود الرعاية والعناية بهن،ولهذا استحدث الناس بجوار كل مخيم مقبرة جديدة.. وفي عدد من الأماكن التي نذهب إلـيـهـا كـان الناس يقولون لنا : لا نريد منكم طعاماً ولا شراباً ، ولكن نريد منكم أكفاناً نكرم بها موتانا @!!
بل حتى لباس الأحياء لا يتوفر عند بعضهم ، فالعري أصبح ظاهرة طبيعية خاصة بين الأطفال ، وكم من امرأة لا تستطيع أن تخرج من كوخها لأنها لا تجد ما تستتر به! وقد رأيت في مخيم -إيفو- وهو أحد المخيمات القليلة التي وزعت فيها الخيام - ينزعون البطانة الداخلية لخيامهم ، ويلبسونها النساء والأطفال لعدم توفر الكساء..
وزاد الأمر سوءاً وقسوةً الجفاف الشديد الذي أصاب الأراضي الكينية المجاورة للصومال ، مما أدى إلى موت المواشي والحيوانات التي هي مصدر الرزق الوحيد لعامة الناس . وهذا أدى إلى هجرة جماعية لأهالي البادية الكينية ، وقد زرت مدينة وجير الكينية فوجدتها أكثر سوءاً من بعض مناطق اللاجئين الصوماليين . ففي مخيم واحد مات حوالي 20% من الأطفال تحت سن خمس سنوات خلال شهر أبريل من عام 1992 م فقط ، وهم كلهم مسلمون... !!
والمياه إحدى المشكلات الأساسية التي تعاني منها المنطقة ، حيث لا تتوفر الآبار بشكل كاف ، ففي مدينة وجير الكينية على سبيل المثال يوجد سبعة وأربعون بئراً ارتوازياً ، لا يعمل منها الآن إلا سبعة عشر بئراً فقط . وقد وصل الحال ببعض الناس أنهم يسيرون أكثر من خمسين كيلو متراً بحثاً عن الماء ، وفي بعض مواقع اللاجئين رأيت الناس يصطفون إلى منتصف النهار لكي يحصلوا على إناء من الماء لا يكفيهم ليوم واحد..!!
وبسبب انعدام أبسط المتطلبات البشرية انتشرت الأمراض انتشار النار في الهشيم ، ومن أبرز الأمراض التي رأيتها :
1- أمراض سوء التغذية، حتى لا ترى إلا هياكل عظمية لا تقوى على الوقوف أو الحركة من شدة الإعياء .
2- أمراض نقص البروتينات وخاصة بين الأطفال - وهؤلاء بطونهم منتفخة بصورة عجيبة جداً، حتى أصبح هذا المرض ظاهرة متفشية بشكل كبير جداً ، وقد رأيت في مخيم عيلواق طفلاً لم يتجاوز الخامسة من عمره وانتفخ وجهه وبطنه وأصبح كأنه من عالم آخر..!
3- الأمراض الجلدية بأنواعها المختلفة، حتى إنني رأيت في مخـيم دولو الأثيوبي أشكالاً عجيبة تقرحت جلودهم وتغيرت أشباههم .

4- كما انتشرت بينهم أمراض السل والملاريا والحصبة والإسهال .
أما الأحوال في داخل الصومال فهي أشد مرارة وقسوة، حيث مارست القبائل المتناحرة دورها بكل صلف وفوضوية ، تغير وتقتل وتحرق الأخضر واليابس.. والناس يفرون من أرض إلى أرض بحثاً عن الأمن.. وقد بلغ الوضع بالناس إلى حال شديدة لا تتصور ، ففي مدينة جلب ومركة وقُربولي بدأ الناس يطبخون جلود الحيوانات ويأكلونها لأنهم لم يجدوا غيرها..!!
وعلى الرغم من أن اللاجئين الصوماليين في كينيا مسلمون 100% إلا أن التنظيمات التنصيرية غزت الساحة بصورة مذهلة جداً، فالنشرات التنصيرية أصبحت بأيدي الناس، وقد رأيت بنفسي بيد أحد الأطفال قصة مصورة باللغة الصومالية محتواها أن المسيح هو المخلص والمنقذ ..! ورأيت في مخيم وجير منصرة بريطانية تقدم مساعدات غذائية للمتضررين وتساعدهم في بناء منازلهم من القش.. ولكي تستطيع أن تؤثر في صفوفهم سمت نفسها بعائشة .. !!
ومن أبرز المنظمات التنصيرية العاملة في الميدان :
1- الصليب الأحمر .
2- منظمة كير Care الكاثوليكية البريطانية .
3- منظمة أطباء بلا حدود MSFالهولندية .
4- منظمة أطباء بلا حدود الفرنسية .
5- منظمة أوكسفام البريطانية للإغاثة .
6- منظمة العون الأمريكي .
7- منظمة الرؤيا العالمية .
8- منظمة جي تي زت الألمانية.. وغيرها .
والعجيب أن هذه المنظمات التنصيرية تريد أن تحتكر العمل بأكمله، وتضيق على المنظمات الإسلامية العاملة في الميدان ، فبالتنسيق مع منظمة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة (UNHCR) احتكرت منظمة كير الكاثوليكية توزيع المواد الغذائية ، كما احتكرت منظمة (MSF) الفرنسية الأعمال الطبية، وتحاول هذه المنظمات أن تعيق أعمال الهيئات الإسلامية وتعرقلها ، ولكن يأبى الله ذلك . فعلى الرغم من هذا الزخم التنصيري المتلبس بلباس الإغاثة ؛ إلا أن الناس - بحمد الله تعالى - لا زالوا يشعرون بهويتهم الإسلامية - ويفرحون فرحاً شديداً إذا رأوا رجلاً مسلماً . ومن المواقف التي أسعدتني في مخيم عيلواق أن الناس اجتمعوا حولنا ولما أردت الخروج من بينهم دفع أحد الأطفال أخته الصغيرة قائلاً لها: ابتعدي عن طريقه أتظنين أنه نصراني . إنه مسلم ! فأظهرت استبشاري بذلك لأحد العامة ، فقال لي والأسى يعصر قلبه : لقد كنا في بادية الصومال نسأل الله -عز وجل- أن لا يرينا كافراً .
وكان الناس لا يشربون في الإناء الذي شرب فيه الكافر إلا بعد غسله

بالتراب! ثم قال : وأما الآن فأصبحنا نفرح بمشاهدتهم ونجري من وراءهم لنبحث عن لقمة العيش التي لم نجدها إلا منهم ، ثم ذرفت عيناه وهو يقول : فأين أنتم يا مسلمون..؟!!
وأجمل في آخر هذا التقرير الاحتياجات العاجلة للاجئين بالنقاط التالية :
1- المواد الغذائية بمختلف أنواعها ، وخاصة حليب الأطفال المجفف الذي لا يتوفر في كينيا .
2- المياه النقية وهذا يتطلب حفر آبار ارتوازية عديدة .
3- توفير الأطباء والأدوية .
4- توفير الملابس والخيام .
وأخيراً...
هذا نداء عاجل أبعثه باسم اليتامى الذين فقدوا آباءهم فلا تسمع إلا صراخهم ، باسم الثكالى اللاتي أنهكهن المرض فلا ترى إلا دموعهن . باسم الشيوخ والعجزة الذين أسقطهم الجوع فلا تسمع إلا نحيبهم.. باسم مسلمي الصومال الذين يموتون في كل ساعة وما من مجيب .
نداء أبعثه إلى كل مؤمن بالله تعالى يهمه أمر المسلمين..
إلى كل مؤمن مصدق بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : "اللهم اعط منفقاً خلفاً.." وبقوله : "ما نقص مال من صدقة.."..
اللهم هل بلغت.. اللهم فاشهد.. اللهم فاشهد

ماذا يجري في تونس ؟

أظهرت كبار الصحف والمجلات الصادرة باللغة العربية الشماتة بما يجري للمسلمين في تونس فتكلمت عن (الصيف الحار) للمسلمين في بلدان من شمالي أفريقيا ، وكانت العناوين البارزة (279 أصولياً في قفص الاتهام)، (التزام بمصالحة شبه مستحيلة بين الأصولية والديمقراطية) ، (الأصولية والسياسة من خلال نموذج النهضة في تونس) .
وهؤلاء الشامتون من العلمانيين أو الحاقدين على الإسلام يظنون أن الساحة ستخلو لهم إذا أبعد المسلمون أو وضعوا في السجون .
ولكنهم لا يفقهون أن هذه المحاكم الصورية الظالمة إن هي إلا ابتلاءات وتمحيص ، وأنهم لا يستطيعون الفكاك من الشعوب التي تريد الرجوع إلى هويتها وعقيدتها وأن الإسلام قادم بإذن الله .
وهنا نريد أن نوجه سؤالاً للعقلاء من هذه الأمة: ما هي المصلحة من ضرب الدعوة الإسلامية في تونس وغيرها من الأقطار ، إنه بالتأكيد ليس هناك مصلحة إلا مصلحة واحدة لا غير وهي أن ما يجري هو لحساب الغرب الأوربي ، وحتى يرضى السادة عن العبيد، هذه هي خلاصة القصة منذ أربعين سنة وحتى الآن ، والدليل على ذلك أن زعماء النهضة صرحوا في

المحاكمات التي تجري هذه الأيام أنهم لم يأمروا بقتل أحد، ولم يصرحوا بذلك ولا أسروا ، وإنما هي أعمال فردية كما ذكرت ذلك قيادة النهضة وأنهم قدموا إلى وزارة الداخلية أربع طلبات متوالية للحصول على ترخيص للعمل كحزب علني ، ويقولون : "اتفقنا على رفض العمل السري ، وهذا اقتناع فكري عندي.." .
وعندما سأل القاضي أحد المتهمين عن الأسلحة قال : "عليك أن تسأل من صودرت عندهم إذا اعترف أحد مهم بأن المكتب السياسي أعطاه أي توجيهات فنحن مدانون" . وأشار عنصر قيادي إلى هذا عندما نفى "وجود خطة انقلابية وأن الحركة التزمت في الفترة الأخيرة طريقة المراوحة بين الضغط السياسي والحوار مع الحكم" . وقال عن أعمال العنف : إنها من الشباب ومبادرات فردية فقد أعطت الحركة هامشاً واسعاً لفروعها في التحرك وتتخذ المبادرات من نفسها ، فوقعت أخطاء" ونظن أن ما صرح به هؤلاء القادة ينسجم مع توجهات حركة النهضة فلماذا إذن يوضع الآلاف في السجون ويحاكم (300) من قادة الحركة ، ويتعرض بعضهم (علي العريض) لتعذيب من النوع المعروف في البلاد العربية الأخرى فذكرت صحيفة الحياة أن المتهم وضع في زنزانة انفرادية وضعوا فيها كاميرا للتصوير ودسوا له المواد المخدرة حتى يدمن على المخدرات ولما تفطن للأمر أضرب عن الطعام لمدة (15) يوماً وافتعلوا شريط فيديو يدعي أنه يمارس الفاحشة ، هذه خبرات رجال الدولة الأشاوس وهذه أوضاع البلاد التي ابتليت بأمثال هؤلاء الذي يدمر أحدهم وطنه في سبيل أن يرضى الغرب عنه .
إن ما يجري في تونس ليس غريباً ، ولكنه مؤلم : فإلى متى يقتل أو يوضع في السجون خيار هذه الشعوب ، وإلى متى تستلب هوية الأمة ، ونعيش حياة ممزقة محزنة ليس فيها إلا الذل والهوان ؟!

البوسنة..
هل تصبح فلسطين ثانية ؟

بدأت صورة الوضع العام للمسلمين في البوسنة تتضح أكثر فأكثر ، فالصرب مستمرون في القصف والتهجير وهدم المساجد (300) مسجد وقتل العلماء، وحصار المدن والقرى المسلمة، أو التي فيها أكثرية مسلمة ، والحيلولة دون وصول الغذاء والكساء لهم . والغرب يرى أن المشكلة مشكلة إغاثة فقط ! وهذا يعني أن مسلسل التهجير مستمر، وحتى قبول المسلمين المنكوبين كلاجئين أصبحت الدول الغربية تجادل فيها ، وتعتذر بأعذار كثيرة واهية ، وكل ذلك من أجل أن هؤلاء اللاجئين مسلمون ، ففي باريس قال مصدر عسكري : إن القوى الغربية تدرس

إمـكـان إقـامة مناطق لجوء آمنة (على نمط ما فعل به الأكراد) وفي إيطاليا قال قائد القوات الأمريكية : إن لديهم أوامر بعدم القتال .
وفي تصريح لوزير خارجية البوسنة قال: إن أعمال الولايات المتحدة لا تكفي، غريب جداً أن تعطينا المساعدات من ناحية ، ومن ناحية أخرى تقبل باستمرار النزف الـذي يحـصـد الأبريـاء كــل لحظة بل يشير وزير خارجية البوسنة إلى أن الحصار المفروض على البوسنة ليس من الصرب فقط بل من المجتمع الدولي ، فيقول : "فوجئنا بأن كل العواصم المحيطة والدول المعنية ترفض إفساح المجال لنا للحصول على السلاح ، إننا نستغرب هذا الحصار علينا" .
ونحن نقول لوزير الخارجية: لماذا هذا الاستغراب ؟ أليس الشعب الذي تجري حوله هذه المساومات ، وتضرب حوله هذه العراقيل شعباً مسلماً ؟ إن تحويل قضية خطيرة تحتاج إلى حل سريع وحاسم إلى مشكلة جانبية ، والتركيز على الجانب الذي لا يعالج أصل المشكلة ظلم شنيع وتهرب مقصود من المواجهة العلنية التي تستحقها، وهي الضغط بكافة الوسائل على الصرب المعتدين .
ويؤكد هذا التصرف المريب، تـصــرف الأمـيـن العام للأمم المتحدة الذي رفض فكرة نزع السلاح الثقيل من أيدي المتحاربين ، وهذا فـي مصلحة المسلمين لأن السلاح الثقيل بأيدي الصرب .
إن الشعوب الإسلامية قامت بواجبها تجاه الشعب البوسني،وهذا الذي في وسعها،وسكتت كل الدول عما يجري ولعل هذه الأحداث تجعل المسلمين فـي كوسـوفـو وألبانيا يدركون ما يدبر لهم ويدرك المسلمون والحركات الإسلامية أن المعركة طويلة ومستمرة..

مكتبة البيان

محمد الحسيني

مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة

د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري

والبحث قدم كرسالة لنيل درجة الماجستير في 6/7/1398 هـ، ناقش الكاتب معنى مصطلح أهل السنة ، وناقش اعتقادات الشـيـعة بتفصيل طويل ، ثم عرض لمحاولات التقريب عبر التاريخ إلى زماننا . ويرى الكاتب "أن الـمـنـهج السليم للتقريب هو : أن يقوم علماء السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم وبيان صحته وتمـيزه عن مذاهب أهل البدع ، وكشف لمؤامرات الروافض وأكاذيبهم وما يستدلون به مـن كـتـب أهل السنة" ص 280 جـ 2 . (الكتاب يقع في جزئين ، 831 صفحة ، الناشر : دار طيبة الرياض)

فلسطين بين المنهج الرباني والواقع

دكتور عدنان علي رضا النحوي

يناقش الكاتب التصور الإسلامي للقضية الفلسطينية وصـلـة الإسلام والمسلمين بهذه البقعة من الأراضي الإسلامية تاريخياً وشرعياً ثم يتعرض لمواقف المعاصرين من المسلمين وغيرهم ، بخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي .
(140 صفحة ، الناشر : دار النحوي للنشر ، 1412 هـ، 1992 م)

جذور الصراع في ليبيا

فتحي الفاضلي

من خلال نسق تاريخي يبدأ به المؤلف منذ ما قبل البعثة إلى اليوم ناقش المؤلف فيه قضايا مهمة في تاريخ ليبيا دار حولها الصراع . وكانت غالباً هي صراع الإسلام مع أعدائه سواءاً كانت الغزوات الصليبية من الخارج، أو صراع الحكومة مع الإسلام في العقدين الأخيرين، والذي كان جوهره التخلص من سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإثارة الشبه حولها حتى يخلو المجال للديكتاتورية لتخرج بفهم خاص للإسلام يرعي مصالحها . كما عرض في الكتاب للمعارضة وفصائلها ، وللمواجهة مع الإسلام في السنوات الأخيرة بشكل موجز.
(173 صفحة)

شذرات وقطوف

إعداد : نجوى محمد الدمياطي

متى نتخلص من الفُرقة ؟

لن نتخلص من الفرقة ولن نعود إلى القوة، مـا لـم تتـحـدد لـنـا شخـصـيـة محددة بحدود وضوابط هي ما اختطه السلف الصالح لنا من منهج قويم يقِّوم الانحراف، ويدفع إلى الأمام في كل مجالات الحياة ويجود علينا بخير الدنيا والآخرة .

محمد العبدة - طارق عبد الحليم
مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم

من هم أهل السنة؟

سئل بعض الأئمة عن السنة ؟ فقال : ما الاسم له سـوى "الـسـنـة" يعني : أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها .
فمن الناس: من يتقيد بلباس لا يلبس غيره ، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره ، أو مشية لا يمشي غيرها ، أو بزي وهيئة لا يخرج عنهما ، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها . وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره. وإن كـان أقـرب إلـى الله ورسوله منه، فهـؤلاء كـلـهـم محجـوبـون عـن الظفر بالمطلوب الاعلى، مصدودون عنه. قد قيدتهم الـعـوائـد والـرسـوم،

والأوضــاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة. فأضحوا عنها بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل .
ابن قيم الجوزية
مدراج السالكين 3/184

دعوة الإيمان

إن المشكلة الكبرى التي نعانيها الـيـوم هي تصـحـيح إيمان المسلمين تصحيحاً يتناول الفكر والوجدان والسلوك والعمل ، وذلك قبل أي إصلاح آخـر ، تأسياً برسول الله -صلوات الله وسلامه عليه- .
إن كثير ممن ينادون بأنواع من الإصلاح : تعليمي واقـتـصـادي وصـحي واجتماعي وما إلى ذلـك .. ولم يـبـدأ - صلوات الله وسلامه عليه - بـشـيء من ذلك ، ولكنه بـدأ بالإصـلاح الإيماني فكان كفيلاً بأن يتبعه كل إصلاح ، ولا نعني إيـقـاف هــذه الأنواع من الإصلاح ، ولكننا نعني أن يكون منطلقها ودعاتها والمهيمن عليها دعوة الإيمان .
د. محمد أمين المصري
سبيل الدعوة الإسلامية

حشو الصحافة

محمد الخريف

لا يخفى أن الصحافة كوسيلة مـن وسـائل الإعلام الحديثة تضطلع بدور مهم في المجتمع، فهي ميدان رحب الأفكار والمحاورات الـفـكـرية والعلمية الجادة وصولاً إلى الرأس السديد والحقيقة المطلوبة ، إلى جانب دورها في الـبـحـث عن أخبار الأحداث العالمية والمحلية من مصادرها وتزويد القراء بكل جديد يحدث بصدق وصراحة، كـمـا أن لهـا دوراً كـبـيراً فـي التأثير على الرأي العام لأفراد المجتمع،وإحداث التصورات المطلوبة عن الخبر أو المعلومة التي تطرحها وفق صياغة معينة فيما يخدم المصلحة العامة الحقيقية .
إلا أن أهم أدوار وسائل الإعلام عامة، والـصـحـافة على وجــه الخـصـوص هو التعبير عن مشكلات وقضايا الناس وإيضاح احتياجاتهم وأوجه معاناتهم، بشـكـل صـادق وأمـين . مع المطالبة والضغط في سبيل تحقيقها وإيجاد الحلول الجذرية لها . ويتم ذلك عن طريق النقد الـبـنـاء والتقـويم السليم لكافة الأوضاع والظواهر الاجتماعية بهدف المشاركة في الإصــلاح وإيصال الصوت الخافت الضعيف إلى آذان المعنيين .
إضافة إلـى الـدور الـريـادي الفـعـال الـذي يـجـب أن تقوم به الصحافة في مجال الدعوة الإسلامية وممارسة رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكلمة الحكيمة العلمية المبنية على الدليل والمعلومات الصحيحة .

وإن المتأمل في الصحافة العربية بعد هذا العرض الـمـوجـز الذي سقناه عن رسالة الصحافة ودورها في المجتمع سيجد كماً هائلاً من الصحف، والمجلات اليومية والدورية ذات الورق الفاخر بصفحاتها التي سودت بكلام كثير، يمـنـحـك ولأول وهلة شعوراً بالغبطة والسرور على هذا الانفتاح والحرية التي سمحت بكل هذا الـكـم الـورقـي والـكـلامي فـي الكـتابة والتعبير .
ولكنك ما تلبث وبعد تمعن وفحص دقيق لمضمون هذه الإصدارات أن يتحول شعورك الوقتي السابق إلى أسىً عميق وحزن ثقيل على هذا الوضع المتردي، حـيـنـمـا تجد هــذا الحشو الرخيص المبتذل وقد سودت به هذه الإصدارات في كل عدد تغرق به سوق التجارة! غير متمسكة بمبدأ نبيل أو هدف سام ، تقرأها من الغلاف إلى الغلاف فلا تخرج بفائدة، إن لم يحصل لك ضرر .
وأنا أتكلم عن واقع حي مشهود لا ماض مندرس ، فهي صحافة تبعية تتلقف بغباء أو سوء نية معلوماتها ، وتستقي أخبارها الهامشية من وكالات الأنباء العالمية التي تسيطر عليها قوى الشر العالمية: الصهيونية والصليبية ، تفرغها نصاً دون تمحيص أو تدقيق ، ولا تجد منها من يطلب الخبر من مظانه ومصادره الأصلية ، لأن هدفها الغالب تجاري بحت ، لا تلقي بالاً لأمانة المسؤولية .
أما أخبارها المحلية فأخبار سـطـحـيـة مـكــررة، تبرز المحاسن وتضخمها، وتتفاعل عن الظواهر والمشكلات التي يعاني منها المجتمع، تـتـحـرى بفــارغ الصبر الدعم الدوري من الجهات الرسمية، حـتـى لا تـفـلـس، وتـواصــل الإمعان والتضليل والتجهيل والتوجيه المعكوس . فإن أوردت خبراً ذا بال حرفته وأسقطت مضمونه وإن احتوت على تحليل أو مقال ، كان مضمونه بعيداً عن قضايا المجتمع، يدور في فلك كاتبه انعكاساً لفكره الضيق، إن لم يكن منصباً في وادي التغريب والمسخ الفـكــري الذي يمارس على قدم وساق من زمن بعيد عبر هذه الوسائل وغيرها .
ويدلك على تيه هذه الصحافة وبعدها عن دورها الحـقـيـقـي تلقـفـها لأخبار القطط والكلاب وتفصيل حكاياتها مع خدمها الغربيين ! مع تركيزها على أخبار وصور الفنانين والفنانات وعرض حياتهم للمجتمع لتكريس الاقتداء بهم ومحاكاتهم . تجهد في عرض الصور العارية والأخبار والمغامرات الرديئة لجذب المشترين من الغثاء وإشباع شـهــوات الفارغين من كل فكر سليم ، مع طرح موضوعات هامشية تلقى اهتمام الرعاع كأخبار الرياضة والفن العفن..
إن رواج هذه الصحافة واستمرارها في الصدور يدل وللأسف على وجــود مـن يـتـلـقـى ما تطـرحـه مـن غـثاء ، وهذا الوضع يمثل ظاهرة مرضية يعاني منها المجتمع تستحق مــن الدعاة والغيورين دراسـتـهـا ومحـاولـة إيجاد الحلول الملائمة لمعالجتها عن طريق إيجاد البدائل الفعالة القادرة على إعادة صياغة

عقول أبناء الأمة وإصلاح أفكارهم مما علق بها من تلوث فكري نتيجة متابعتها الطويلة لما تطرحه وسائل الإعلام بوضعها الراهن ، وإن ترك هذا الوضع على حاله ينذر بخطر عظيم يتطلب تضافر الجهود لتغيير واقع الصحافة حتى تعود إلى ممارسة دورها المنشود ولن يتأتى ذلك إلا حينما ينخرط أبناء المجتمع من ذوي الفكر السليم في هذا المجال بقوة وفـعالـيـة تمكنهم من فرض وجودهم على الساحة الإعلامية متبنين طرح قضايا الأمة وتوفير المعلومات والأخبار الصحيحة من مصادرها مع الاستفادة الكاملة من كافة الوسائل والتقنيات الحـديـثـة فـي مجال الاتصالات والإعلام والإخراج الفني الرفيع حتى تعود للأمة هويتها وذاتيتها المستقلة ولا بد لتحقيق كل ذلك أن يصاحبه تطور في كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وانعكاس كل جانب على الجوانب الأخرى .

الغرب وقضية البوسنة - الهرسك

إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم التركي

لـو سـأل إنـسان نفسه: ما هي أسباب هذا الاهتمام بالمسلمين في البوسنة، هــل جـاء هــذا الاهتمام الغربي بالأخـص الأمـريـكـي مـن مـنـطلق الضمير الإنساني الحي؟ أم تراه بنصرة المظلوم والدفاع عنه؟ أم هو الدفاع عن حقوق الإنـسـان؟ أم هـو الوقـوف فـي وجــه الـظـلـم والعدوان؟

ترى أين هــذه العاطفة الإنسانية الغربية الأمريكية الجياشة عما يحدث للمسلمين الآن في كشمير وفي فلسطين وفي الفلبين ،في غيرها من بلاد المسلمين؟

إذا أمعنا الـنـظـر والتأمل في الأحداث ومجريات الأمور وظروفها نستطيع معرفة بعض هذه الأهداف ولعل منها ما يلي :

1- أهمية المنطقة: ويـكـفـي دلـيـلاً عـلـى أهميتها أنها كانت السبب المباشر والشرارة التي أشعلت الحرب العالمية الأولى وذلك فـيـمـا كـان ولـي عهد النمسا في زيارة لعاصمة البوسنة والهرسك سراييفو فقام مجموعة من الشباب الصرب الـمـنـتـمـيـن إلى منظمة الكف الأسود باغتيال ولي عهد النمسا فقامت على أثر ذلك الحرب بين الـنـمـسـا والصرب وهكذا بدأت الحرب العالمية الأولى .

2- الخوف من قيام الجهاد في أوربا: فـإن صـمـود الـمـسـلـمـين وتوجه قيادتهم الإسلامي والدعم الشعبي الإسلامي ، وإذا قام الجهاد في هذه المناطق لا شـك أنــه سيكون شوكة في خاصرة أوربا .

3- إثـارة هــذه الأحداث للشعور الإسلامي بالجسد الواحد يتمثل ذلك في الدعم الشعبي الكبير للمسلمين هناك والذي تمثل في شعوب المنطقة العربية والمسلمين بشكل عام .

فمقتل آلاف من المسلمين هناك يؤدي إلى سريان روح الجسد الواحد في الأمة ، بينما قبل حوالي ثمانين عاماً وفي الحرب العالمية الأولى يباد هناك 250 ألف مسلم ولا بواكي لهم . فهو تطور خطير خلال 80 عاماً في نظر الغرب .

الطريق إلى الله

فهد أبو عمرو

هــل أحسست مرة وأنت تقدم مساعدة لشخص لا تعرفه ، فتقيله من عثرة، أو تـرفـع لــه حملاً لا يقوى على رفعه، أو تناوله شيئاً لا تناله يده،أو تدلُّه على حل لإحدى مشكلاته، أو تقوم له بعمل هو في حاجة إليه.. هل أحسست بالخِفة تملأ نفسك،فتكاد تحمل جسمك حملاً في الهواء؟ هل أحسست روحك ترفرف عالية مستبشرة، ونشوة خفية تملأ جناحيك؟ إنها الطريق إلى الله .
.. هـل أحـسـست نحو إنسان أنك تحبه ؟ تحبه ولست في حاجة إليه ولا تنتظر نفعاً على يديه ؟ تحبه بلا ضغينة له في نفسك ولا غيرة ولا حقد ؟ تحبه فلا تقيس نفسك - سراً -إليه وتقول:ألم أكـن أنـا أولـى منه بما هو فيه ؟ تحبه فلا تحسده على مزاياه ومواهبه بل تحبها كأنما هي ملكك ، وتتمنى له المزيد ؟ أنها الطريق إلى الله .
هل أحسست بالألم يعتصر فؤادك ؟ ألم من كل نوع.. آلام شتى كلها مؤلم وكلها شديد.. هل أحسست أنك تتهاوى تحت وطأتها وأنك لا تستطيع احتمالها ؟ هل أحسست وخزها يدفعك إلى الصياح.. إلـى الـتأوه.. إلى الانفطار.. إلى انهيار الأعصاب وانهيار السلطان على النفس ؟ وهل تمالكت نفسك رغم هذا ، وقلت تواسي نفسك وتجمع شتاتها تصبِّرها : فليكن ذلك في سبيل الله ؟ إنها الطريق إلى الله .
هل أحنقك الشر يمرح في الأرض ؟ هل أحسست بهزة الغضب وأنت ترى الظلم يقع عليك وعلى غيرك من بني البشر .. هل ضاقت نفسك بالحياة فما عدت تطيق آلامها وقسوتها ؟ هل تملكك الضجر واليأس ، وأحسست بالحاجة إلى الشكوى ؟ هل تلفت حولك فلم تجد من تشكو إليه ؟ لم تجد الصفي الذي يخلص لك حتى لتفتح له نفسك دون تحرج وتطلعه على كل خفاياك؟ أو لم تجد راحة في شكواك إلى الناس؟ ثم هـل تطـلـعـت إلـى الـسـمـاء وانفجرت بالشكوى ؟ هل وجدت الله وشكوت له بثك ونجواك ؟ ، إنها الطريق إلى الله .

حول مصطلح التطرف

زكريا بن عبد الله الزامل

إن التلاعب بالمصطلحات قـديم قـدم المصطـلـحات ذاتها ، ويكثر هذا النوع من التلاعب في هذا الزمان ، حتى وصل إلى حد الإرهاب بأنواعه، وحـتـى أصـبـح وظيفة لبعض من رواد الصحافة أن يطلقوا الأحكام على خلق الله، فــإذا تـمـسـك المسلم ببعض السلوك الإسلامي وصم بالتطرف والأصولية، وإذا طالب بإقامة حكم إسلامي رمي بأنه متطرف وصولي، وإذا طـالـب بإحياء فريضة الجهاد في سبيل الله وصف بأنه راديكالي ، وإذا طالب بالعودة إلـى الكـتـاب والسنة وترك حثالة الآراء وصف بأنه نصوصي حرفي ، وهكذا تنتقى المصطلحات الـمناسبة من قاموس الصحافة المستوردة مع إمكانية استيراد مصطلحات جديدة لما يستجد في الساحة من ظواهر .
ونحن لا نعـجـب ولا نستغرب هذا العداء لأننا نعلم أن هذه الفئة من الناس إنما هي عالة على الفكر الغربي المتطرف ذي البعد العدائي للإسلام والمسلمين، ولأنـهـم الـوجــه الآخر للاستعمار فهي شنشنة نعرفها من أخزم ، لكن عجبنا أن يكون من حملة الأقلام الإسلامية وممن يـعـد مـن حمــاة الدين والذابين عنه عندما يقعوا في ذلك المزلق الخطير، وإن كـانـوا يملكون من ثقة القراء ما يعذرون به إلا أنهم في المقابل يوقعون نوعاً آخر من القراء في دوامة وحيرة .
ومن المصطلحات التي أصبحـت مجالاً للتلاعب والخداع مصطلح "التطرف الديني" حيث شاع ذكره والكلام عليه هذه الأيام، لــذا وجب علينا معرفة حقيقة التطرف وما يتعلق به ومن ملابسات .
إن هذا المصطلح دخيل لا تعرفه قواميس اللغة المعتمدة ، فهو غربي النشأة يُرمى به كل من يدعو للعودة إلى الكنيسة والكتاب الـمـقـدس ويـسـتـعمل القوة والعنف في ذلك كما هو حال الـكـنـيـســـة فـي العصور الوسطى لأوربا كقولهم radical, fundamental, fanatic، ومعناها على الترتيب متعصب، أصولي، متطرف، فترجمت هذه المصطلحات لتكون أسلحة مضادة للمصلحين .
لذا فنحن لا نعرف شيئاً اسمه تطرف ديني ، ولكن نعرف شيئاً اسمه الغلو في الدين ، هذا من حيث اللغة. أما من حيث المفهوم فإن المعنى المتبادر لمفهوم التطرف الديني يختلف عن المعنى المتبادر لمفهوم الغلو في الدين، حـيـث إن اسـتـعـمال مصطلح التطرف بدلاً من الغلو ينتج عنه فجوة إن لم يكن عداء بين عامة الناس وعلمائـهـم مـن جـهـة ، وبين من يسمون المتطرفين من جهة أخرى ، ولا يخفى خطر ذلك على كلا الفريقين ، أمــا مـصـطـلح الغلو فـإنـه لا يقصد منه خلق فجوة أو العداء أو الوقيعة أو الإرهاب أو حتى التندر ، بل إنـنـا عـنـدمــا نسـتـعـمـل مصـطـلح الغلو - وهو مصطلح إسلامي - نريد منه الإصلاح والتحذير ومعالجة هذه الظاهرة والرفق بأصحابها والحرص عليهم .

وأيضاً فقولهم التطرف الــديـنـي تـجُّـوز فـي العبارة ، إذ إن الغلو أو التطرف - على حد تعبيرهم - يكون في أسلوب التدين وليس في الدين ذاته ، لذا فنحن نقول : الغلو في الدين ولا نقول الغلو الديني ، وقد أشار إلى ذلك بعض الباحثين ، وإن كان وجد من العلماء السابقين من استعمل لفظ التطرف تجوزاً إلا أن الأصل هو المرجع اللغوي ، وأيضاً فهؤلاء العلماء لم يكونوا يقصدون من ذلك الاستعمال التشويه أو الاستهزاء بل كان مجرد تجوز في الاستعمال كما ذكرت ، هذا من جهة التطرف كمصطلح .
أما من جهة استعماله وتوظيفه فإننا نجد العجب العجاب ممن يكيل بمكيالين حيث نجد من الكتاب المحسوبين على الإسلام من يستعمل مصطلح التطرف الديني ويقيم المظاهرات الإعلامية عليه وأنه أشد أنواع التطرف خطراً وضرراً على الفرد والمجتمع وأن أصحابه يتطرفون في آرائهم ويتجرأون على الفتيا في الدين بغير علم ، ويوزعون أحكام التكفير والتفسيق مع الناس دون تمييز ويتعصبون لآرائهم ويسفهون غيرهم ويصبحون أحاديي النظرة ، ولا يعرفون من الألوان إلا الأبيض والأسود ، وإذا ما حازوا على منبر عام وصلوا إلى حد الإرهاب.. الخ من أنواع الشتائم .
ففي حين وضع التطرف الديني تحت قائمة هذه الاتهامات لا نجد هؤلاء الكتاب يتكلمون عن التطرف السياسي الذي لا يتكلم إلا بالحديد والنار وأعواد المشانق ، وهو أشد خطراً وضرراً على الأمة . أما التطرف الفكري فهو عند هؤلاء الكتاب أقل شأناً وأهمية ولا يعتبر ذا خطورة بالغة مقابل التطرف الديني مع أنه يضل كثيراً من الناس ، وقد يخرجهم من دائرة الإسلام . وما العلمانية وقبلها المعتزلة وأخواتها من الفرق الضالة إلا نتاجاً طبيعياً لهذا النوع من الغلو أو التطرف .
فمن هو الذي يتطرف في رأيه ويتجرأ على الفتيا في الدين بغير علم ، ويوزع أحكام التطرف والأصولية والخروج عن الدين على خلق الله دون تمييز ومن هو الذي يسفه آراء غيره ؟ ومن هو أحادي النظر ؟ ومن هو الذي إذا حاز على منبر عام وصل إلى حد الإرهاب ؟ أليسوا هم أولئك الفئة من الناس التي تطاولت على الإسلام وحاكمته بمحاكمة حملته ، ورمته بالجمود والتخلف ؟ في مقابل تصفيقها ودعوتها للثقافة الغربية والفكر الغربي.. وأيضاً ما هو السبب في نشوء هذا الغلو في الدين ؟ أليس هو الممارسات السياسية والفكرية المتطرفة. فلماذا توضع اللائمة على هؤلاء دون هؤلاء ويحاكم هؤلاء دون هؤلاء، أم أننا أصبنا بداء الغلو أو التطرف في دراسة هذه الظاهرة وتحليلها وإصدار الحكم عليها. وإنني بذلك لست أدافع عن الغلو أو التجاوز في التعامل والسلوك أو اعتذر له أو عنه ، فإننا نعلم من ديننا بالضرورة - وهو دين الوسطية - النهي عن الغلو في الدين ، وأنه سبب في هلاك الأمم ، ولكنني أدعو بذلك إلى نقد ذاتي بناء بعيداً عن تدخلات الآخرين المتلهفين إلى نقد كل

ما يمت إلى الإسلام بصلة ، وأدعو إلى نقد خالص بعيد عن الاتهامات أو التجريح أو التناقضات أو عدم الإنصاف ، نقد يقصد منه النصح للأمة ، وهذا النقد يكون نابعاً عن إحساس الأمة بالنقص والخطأ واتجاهها إلى التصحيح بعيداً عن ردود الأفعال .
وعلينا ألا نكون ضحية لسياسة الأمر الواقع ، أو أن نستقطب فكرياً من الأعداء فيما نكتب ، وأن نجعل فكرنا ونقدنا حراً طليقا في إطار أصالتنا بعيداً عن مؤثرات الأعداء وإيعازات المخربين .

الورقة الأخيرة

من الرطانة إلى المسخ

محمد بن حامد الأحمري

هناك معارك تعترك فيها اللغات كما تعترك الجيوش على حدود الدول وفي أعماقها وقد لا تراها العيون، ولأن الناس يصلون نار المعارك العسكرية وتسيل الدماء وتهلك الجموع ؛ فلا يهتم أحد بالمعارك الثقافية الأخرى ، وبخاصة معارك اللغات..
اليوم تنكمش اللغة العربية، وتحاصر في كل ركن، وتحل محلها اللغة العبرية والإنجليزية والفرنسية . فدول المشرق العربي تعيش نهباً للغة الإنجليزية وأحياناً الفرنسية ، في القرى النائية وأعماق الصحراء تجد اللوحات باللغة الإنجليزية في الوقت الذي لم يقف على أبواب هذه الأماكن متحدث بهذه اللغة . بل وصل الأمر بشركتين عربيتين في بلد عربي أن تكتبا العقود بينها بالإنجليزية وتمنعا عمالها من الحديث بالعربية، وبلغ الجهل والتخلف بهؤلاء أن تكون جميع اللوحات الإرشادية بالإنجليزية، وأحياناً نصف اللوحات .
وفي دول المغرب العربي مشروع فرنسة شامل، ففرنسا تقوم بمعونات ثقافية مجانية بإرسال مدرسي اللغة الفرنسية وإغراق الأسواق بالكتب والأفلام الفرنسية بالإضافة إلى البرامج التلفزيونية . وأوقف مشروع التعريب في هذه البلدان بحجة أن التعريب أدى للأصولية .
ويوم ينتهي النفوذ السياسي والاقتصادي للفرنسية والإنجليزية - وقد يكون قريباً - هل سترثها اللغات المتخلفة جداً كاليابانية والصينية والهندية وندرسها في مدارسنا ونحول وسائل إعلامنا لها ، أم أن المستقبل للعبرية والتي تتزايد شهرتها واهتمام العالم بها ، لأن اليهود احترموا لغتهم ففرضوها على العالم ، ولم يكن أحد يتحدث بها إلا كهنة معابد اليهود وكانت العبرية والديانة اليهودية أهم وسائل تكوين دولة مترابطة، لأن اليهود قدموا من شعوب شتى ولغات شتى فجمعتهم العبرية والديانة اليهودية .

إننا لنلوي ألسنتنا بعجمتهم ورطانتهم في كل بلدانهم حيث لا يحترمون لنا لغة ولا ذات، ويـوم يدخـلـون بلدانـنا ترانا نستبق تحت أقدامهم لنترجم لهم خدماً طيعين بلا أجر ، بل ونحــرص ألا تعكــر مزاجهم كلمة عربية واحدة ، بل إن المريض في الدول العربية عندما يشتد به المرض قد لا يفـكـر في الذهاب إلى المستشفى لأنه لا يستطيع أن يشرح مرضه بلغة أخرى ، وهم لا يفهمونه بل ربما أمرضوه أو قتلوه لأنه لا يعرف لغتهم ولا يعرفون لغته .
لقد انهارت الثقافة الإسلامـيــة وعلومها العربية يوم أن كانت اللغة التركية لغة ثانية بل لغة مسيطرة في البلاد العربية، وعشنا زمناً طويلاً من الانطواء وضعف العلوم والثقافة ، لأن اللغة المهيمنة لم تكن لغة المجتمع فلم تكن العربية ، ولم يتعرب الأتراك ، واليوم سيكون بقاء اللغات الأجنبية مسيطرة في بلاد المسلمين علامة انهيار ثقافي وتبعية سياسية شاملة ، فمجتمع يعيش بلغتين ويحيا ثقافتين مجتمع مصيره المسخ والانهيار ، فاختاروا لكم حياة ثقافية وحضارية واحدة، إما أن تكون العربية، أو الفرنسية، أو الإنـجـلـيـزيـة، وتجنبوا مشاريع التقليد الفاشلة قديماً وحديثاً . ونحن اليوم نعيد تجربة العهد التركي الـفـاشـلـة ثقافياً مع أنها حمت المسلمين عسكرياً زمناً طويلاً ، نعيد التجربة مع الغربيين. لقد آن لنا أن نعي ثقـافـتـنـا ونـعـرف أهمية لغتنا وألا نحيا حياة المسوخ ، وليس في هذا منع لوجود مختصين ونقلة لما نحتاجه من الغرب أو الشرق ، فتكون هناك حاجة دائماً لمن يعرف هذه اللغات سواء اليابانية أو الصينية أو العبرية أو الإنجليزية أو الفرنسية ، ولكن ليس بهذه العملية الماسخة لشعوبنا، الممزقة لها سياسياً وثقافياً ، آن لنا أن نتخلص من هذا الاستعمار الفكري المزري.

تمت بعون الله وفضله ، والحمد لله رب العالمين
